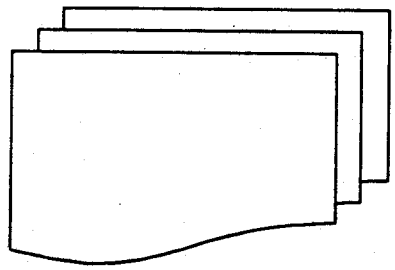

موازنة بين الخليل وسيبويه من خلال مقدمة (العين) للخليل و(الكتاب) لسيبويه

إعداد

د/ هدى محمد متولى إبراهيم السداوى

الأستاذ المساعد بقسم اللغويات فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

لجنة التحكيم

أ.د/ علـــى أحمـــد أحمـــد طلـــب عضو اللجنة العلمية الدائمة

أ.د/محمـــد حـــسن يوســـف عضو اللجنة العلمية الدائمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمـــــة

نحمدك اللهم ونستعينك ونستهديك ونصلى ونسلم على خير خلقك وخاتم رسلك سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فهذا بحث لموازنة بين الأستاذ الجليل وتلميذه النجيب، بين الخليل بن أحمد الفراهيدى عربى الأصل، وسيبويه سليل الفرس، وأردت بهذا البحث أن أبين أثر الأستاذ فى تلميذه، وما تميز به سيبويه عن أستاذه إن كانت هناك ميزة نستطيع أن نوضحها ونبين دلائلها.

وقد وجدت أن الخليل وهو العالم الفذ قد أعطى تلاميذه علمه بسخاء وكان فى مقدمتهم سيبويه الذى أفاد من معلميه، وعلى رأسهم الخليل فنهل من علمه الغزير، وكان يتميز بالدقة والأمانة العلمية التى بدت فى كتابه واضحة جلية فكان يسأل ويستفسر، فيجيبه الخليل بغير ملل حتى سُطِّرَتْ مقالته (مرحباً بزائر لا يمل) ولم يقلها لغير سيبويه.

فلولا كتاب سيبويه ما وصل إلينا علم الخليل فى النحو والصرف، ولم يكتف سيبويه بما أخذه عن الخليل ولكننا نجده وقد انتفع بعلم يونس وغيره من أساتذته كأبى عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وأبى زيد الأنصارى وغيرهم.

كما أن سيبويه كان يرتحل إلى البادية ليشافه العرب بنفسه ويسجل ويروى عنهم حتى صار إماماً لهذا العلم لا ينازع فى إمامته.

وكان سيبويه مع دقته وتمكنه من اللغة العربية يصدر الأحكام، ويعلل لأقواله ويستشهد على صحة ما يقول بما يرويه من آيات كريمة، وأحاديث شريفة، وأبيات من أشعار العرب ينسبها لأصحابها غالباً، وما لم ينسبه ارتضاه العلماء ثقة فى علمه وأمانته وصدقه.

خطة البحث:

بدأت بعد هذه المقدمة بذكر ترجمة للعالمين الفاضلين.

أولاً: الخليل بن أحمد الفراهيدى.

ثانياً: سيبويه.

تكلمت فيهما عن اسمها ونسبهما ، وعلمهما وأساتذتهما وتلاميذهما، وأثرهما وقيمة كتاب العين للخليل؛ والكتاب لسيبويه.

ثم بدأت بالمسائل التى ذكرها الخليل فى مقدمته لكتاب العين من الحديث عن أبنية الأسماء والأفعال الثلاثية المجردة والمزيدة.

وعن الأحادى من حروف المعانى وقد انفرد بذكره سيبويه، وعن الثنائى من حروف المعانى.

وما وصفا به مخارج الحروف وصفاتها.

وفى نهاية البحث تكلمت فى الخاتمة عن نتائجه التى توصلت إليها من خلال البحث.

والله أسأل التوفيق والعون فيما أردت وله الحمد سبحانه أولاً وآخراً.

نبذة عن حياة العالمين الجليلين

١- الخليل بن أحمد الفراهيدى

٢- سيبويه

أولاً: الخليل بن أحمد الفراهيدى:

١- اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى، من الفراهيد ابن مالك بن فَهْم بن عبد الله بن مالك بن الأزد من الغوث.

وقيل هو منسوب إلى فرهود بن شبابة بن مالك بن فَهْم[١].

وقال ابن خلكان:

"أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى ويقال الفرهودى الأزدى اليحمدى"[٢] فاسمه الخليل ، وكنيته: أبو عبد الرحمن.

وأبوه (أحمد) ذكر النَّسَّابُون أنهم لا يعرفون بين النبى (ﷺ) وأبى الخليل مَنِ اسمُه أحمد سواه[٣].

والفراهيدى بفتح الفاء والراء بعد الألف هاء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دالٌ مهملة وهذه النسبة إلى فراهيد وهى بطن من الأزد ، والفرهودى واحدها.

والفرهود: ولد الأسد بلغة أزد شنوءة، وقيل إن الفراهيد صغار الغنم.

واليَحمدى بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم دال مهملة نسبة إلى يَحْمَد وهو أيضاً بطن من الأزد[٤].

---

(١) إنباه الرواة على أنباء النحاة تأليف الوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى جـ١ ص ٣٧٦.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ ص ٢٤٤.

(٣) إنباه الرواة على أنباء النحاة جـ١ ص ٣٧٩.

(٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان جـ٢ ص ٢٤٨.

٢- مولـــده ونشأته:

اختلف فى مكان مولده، قال الطنطاوى[١]: ولد بالبصرة.

وقال محقق كتاب العين للخليل: "وقد ولد الخليل فى المكان الذى يعـــرف حاليـــاً بإمـــارة (عُمان) على شاطئ الخليج فى جنوب الجزيرة العربية.

ونشأ بالبصرة وترعرع فيها وكان مولده على أرجح الروايات عام مائة هجرية.

ويلقب الخليل بالبصرى؛ فعلى الرغم من ولادته خارجها إلا أن نشأته بها غلامـــاً، وتلقيـــه العلم بهما تلميذا ورياسته لها شيخاً جعلته يشتهر بهذا اللقب"[٢].

وأضاف المحقق قوله: "والخليل من اللغويين القلائل الذين انحدروا من أصل عربى صِرْف؛ فلم يكن من الموالى كما كان غيره من أمثال سيبويه تلميذه، وأبى عمرو بن العلاء أستاذه"[٣].

٣- أخلاقه وصفاته:

كان الخليل من الزُّهَّاد وقال: إن لم تكن هذه الطائفة - يعنى أهل العلم - أولياء الله فليس له ولى وكان الخليل عفيف النفس لا يختار صحبة الملوك والأمراء.

وقال عنه النضر بن شميل: أقام الخليل فى خص من أخصاص البصرة لا يقدر علـــى فَلْـــس وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ولقد سمعته يقول: إنى لأغلق علىّ بابى، فما تُجَاوِزُه همتى.

وقال وهب بن جرير: كان الخليل بن أحمد يكثر إنشاد بيت الأخطل:

وإذا افتقـــربتَ إلى الـــذخائر لم تجـــد ... ذخـــراً يكـــون كـــصالح الأعمـــال[٤]

---

(١) نشأة النحو للطنطاوى ص ٦٠.

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى تحقيق د/ عبد الله درويش جـــ١ ص ٤.

(٣) مقدمة كتاب العين جـــ١ ص ٤.

(٤) إنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطى جـــ١ ص ٣٨٠، وينظر ديوان الأخطل ص٢٥٧، تحقيق مهدى محمد ناصر الدين وتوزيع دار الباز بمكة المكرمة.

٤- ذكـــاؤه:

قيل عن الخليل: لم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل ولا أجمع لعلم العـــرب ويحكـــى أن الخليل وابن المقفع اجتمعا ليلة بطولها يتذاكران وافترقا؛ فسئل الخليل عن ابن المقفع: فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل ؟ فقال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه"[١].

وقال صاحب مرآة الجنان:

"وممن نقله ابن الجوزى والواقدى: وهو الذى استنبط علم العروض وحصر أقسامه فى خمس دوائر ستخرج منها خمسة عشر بحراً ثم زاد فيه الأخفش بحراً سماه المجتث[٢] .... وقيل: إن الخليل دعا بمكة أن يرزق علما لم يسبق إليه فلما رجع من حَجَّه فتح عليه بعلم العـــروض، ولـــه معرفـــة بالإيقـــاع والـــنغم وتلـــك المعرفـــة أحـــدثت لـــه علـــم العـــروض فإنهمـــا متقاربـــان فى المأخذ.

وقال حمزة بن الحسن الأصفهانى فى كتابه المسمى بالتنبيه على حدوث التصحيف:

وبعد فإن دولة الإسلام لم تُخَرِّج أبرع العلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصـــول إلا من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه ولا علـــى مثال تقدمه احتذاه وإنما اخترعه من ممر له بالقَصَّارين من وقع مطرقة على طست.

وقيل: وهو فى اختراعه علم العروض الذى هو لصحة الشعر وفساده ميزان كارسطاطاليس الحكيم فى اختراعه علم المنطق الذى هو ميزان المعانى وصحة البرهان"[٣].

وأضاف صاحب مرآة الجنان:

"ومن تأسيس الخليل بناء كتاب العين الذى يحصر فيه لغة أمة من الأمم، ثم من إمداد سيبويه من علم النحو بما صنف من كتابه المشهور.

---

(١) ينظر إنباه الرواه جـــ ١ ص ٣٨٠.

(٢) الصحيح أن المتدارك هو الذى تدارك به عليه تلميذه الأخفش، ولذلك سمى المتدارك.

(٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان لأبى محمد عبد الله بن أسعد جـــــ١ ص ٣٦٢، ص ٣٦٣.

ومن براعة ذكائه ما ذكر فى كتاب المقتبس أنه كان للناس رجل يعطى دواء لظلمة العين ينتفع الناس به فمات، فاحتيج إلى ذلك الدواء ولم يُعْرَف ما هو فذكر ذلك للخليل، فقال: ألـه نسخة معروفة؟ قالوا: لم نجد نسخته، فقال: فهل كانت له آنية يُعْمَل فيها قالوا: نعم إناء كان يجمع فيه الأخلاط، قال: فأتونى به فجاؤوه به فجعل يتشممه ويخرج نوعاً نوعاً حتى ذكر خمسة عشر نوعاً ثم عمله وأعطاه للناس فشفوا به، ثم وجدت النسخة والأخلاط المذكورة فيها ستة عشر لم يغفل إلا واحدا"[1].

أساتذته:

١- أبو عمرو بن العلاء:

هو زبان بن العلاء بن عمار المازنى التميمى.

قال ياقوت: واختلف فى اسمه على أحد وعشرين قولا، والصحيح أنه (زبَّان) لما روى أن الفرزدق جاء معتذراً إليه من هجو بلغه عنه فقال له أبو عمرو:

هجوت زبَّانَ ثم جئت معتذراً ... من هجو زبان لم تهجو ولم تدع[2]

فاعتذر إليه الفرزدق ومدحه بمقطوعة منها قوله:

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها ... حتى أتيت أبا عمرو بن عمار[3]

أخذ النحو عن نصر بن عاصم وغيره، واشتهر بالقراءات والعربية، وأيام العرب ولهجات القبائل. ومن الطريف بهذه المناسبة: أن عيسى بن عمر جاءه متعجباً من تجويزه (ليس الطيب إلا المسك) بالرفع فقال له أبو عمرو: ثمت يا أبا عمر وأدلج الناس ليس فى الأرض حجازى إلا وهو ينصب، وليس فى الأرض تميمى إلا وهو يرفع، ثم أرسلا اليزيدى وخلفاً الأحمر للتثبت من العرب فكان كما أخبر أبو عمرو ، فأخرج عيسى خاتمه من يده، وقال: ولك الخاتم، بهذا والله فقت الناس.

---

(١) مرآة الجنان ص ٣٦٣.

(٢) والبيت من البسيط.

(٣) البيت من شواهد سيبويه على حذف التنوين من عمر، وعلى دخول أفعلت على فعلت، واستشهد به ابن يعيش فى شرح المفصل فى باب العلم، وفى أدب الكاتب كتاب الأبنية (معانى أبنية الأفعال) وشرح الرضى للشافية، والبيت من البسيط.

لكنه مع هذا لم يخلف أثراً مكتوباً، ذلك أنه لما تنسك أحرقها وتفرد للعبادة وتوفى – رحمه الله – فى الكوفة عائداً من دمشق سنة أربع وخمسين ومائة هجرية"[1].

٢– عيسى بن عمر الثقفى:

هو أبو عمر مولى خالد بن الوليد ونزل فى ثقيف فنسب إليهم أخذ عن عبد الله بن أبى إسحاق وغيره وكان مولعاً بالغريب. وهو صاحب (الجامع والإكمال) ولم يصلا إلينا[2].

وقد نوه الخليل بن أحمد عن فضلهما بقوله:

ذهب النحو جميعاً كله ∴ غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع ∴ فهما للناس شمس وقمر

توفى سنة تسع وأربعين ومائة من الهجرة.

علمه:

مما ساعد الخليل على غزارة علمه أنه ساح فى بوادى الجزيرة العربية وشافه الأعراب فى الحجاز ونجد وتهامة إلى أن ملأ جعبته ثم آب إلى البصرة، واعتكف فى داره دائباً على العلم ليله ونهاره هائماً بلذته الروحية فنبغ فى العربية نبوغاً لم يسبق إليه، وبلغ الغاية فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو.

قال الزبيدى: وهو الذى بسط النحو ومد أطنابه وسبب علله وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته، ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفاً أو يرسم منه رسماً ترفعاً بنفسه وقدره إذ كان تقدم إلى القول إليه والتأليف فيه، فكره أن يكون لمن تقدمه تاليا، وعلى نظر من سبقه محتذياً واكتفى فى ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته، فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلده وألف فيه الكتاب الذى أعجز من تقدم قبله كما امتنع على من تأخر بعده[3].

---

(١) ينظر نشأة النحو للطنطاوى ص ٥٨ – ٥٩.

(٢) نشأة النحو للطنطاوى ص ٥٨.

(٣) ينظر (استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين، للزبيدى) ، ونشأة النحو للطنطاوى ص ٦٠.

وقال صاحب نشأة النحو:

فلا غرو أنه لولا تعهد الخليل النحو فى نشأته لبعد عن طور النضوح والكمال، فللخليل فضل النهوض به كما لأبى الأسود الدؤلىفضل تكوينه[1].

ومما يدل على ذكائه أنه أول من جمع جميع الحروف فى بيت واحد حيث قال:

صف خلق خود مثل الشمس إذ بزغت

يحظى الضجيع بها نجلاء معطار [2]

ومن دلائل حكمته ما حكاه النضر بن شميل: جاء رجل من أصحاب يونس فسأله عن مسألة فأطرق الخليل يفكر وأطال إلى أن انصرف الرجل، فعجبنا منه وعايبناه فقال لنا: ما كنتم أنتم قائلين فيها كذا وكذا، قال: فإن قال لكم كذا قلنا: كنا تقول كذا، قال: فيزيدكم كذا فلم يزل يعترض على قولنا إلى أن انقطعنا وأقبلنا نفكر، فقال: إن المجيب إذا ابتدأ فى الجواب قبح به أن يفكر بعد ذلك، ثم قال: ما أجبت بجواب قط إلا وأنا أعرف ما علىّ فيه من الاعتراضات والمؤاخذات.

وقال بعض المؤرخين عنه: كان الخليل صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً.. [3].

ومما يدل على دقته فى اختيار الأسماء وبراعته فى ذلك ما حكاه صاحب مرآة الجنان.

حيث قال: "وسأل الأخفش الخليل لم سميت بحر الطويل طويلا ؟

قال: لأنه تمت أجزاؤه، قال: فالبسيط ؟ قال لأنه انبسط على يدى الطويل.

قال: فالمديد ؟ قال: لتمدد سباعيه حول خماسيه، قال: فالوافر ؟

قال: لوفور الأجزاء وتداً بوتد، قال: فالكامل ، قال: لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع فى غيره.

قال: فالرجز؟ قال: لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة الرجزاء.

قال: فالرمل؟ قال: لأنه يشبه رمل الحصير بضم بعضه إلى بعض.

قال: فالهزج ؟ قال: لأنه يضطرب شبه هزج الصورة.

---

(١) نشأة النحو للطنطاوى ص ٦١.

(٢، ٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان جـ ١ ص ٣٦٤.

قال: فالسريع ؟ قال: لأنه يسرع على اللسان.

قال: فالمنسرح ؟ قال: لانسراحه وسهولته.

قال: فالخفيف ؟ قال: لأنه أخف السباعيات.

قال: فالمقتضب ؟ قال: لأنه اقتضب من الشعر لقلته.

قال: فالمضارع ؟ قال: لأنه ضارع المقتضب.

قال: والمجتث ؟ قال: لأنه اجتث أى قطع من طول دائرته.

قال: فالمتقارب؟ قال: لتقارب أجزائه وأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً[1].

فالخليل عالم نحوى ولغوى وعروضى استنبط العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كما كان شاعراً ومن شعره ما أجاب به رسول سليمان بن حبيب بن المهلب طالبا من الخليل أن يكون وزيرا له فرد عليه الخليل بقوله:

أبلغ سليمانا أنى عنه فى دَعَة ... وفى غِنَى غير أنى لست ذا مال
سخى بنفسى أنى لا أرى أحداً ... يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قَدَرٍ لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر فى النفس لا فى المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى فى النفس والمال[2]

فلما بلغ سليمان قطع جاريه عليه عنه فقال:

إن الذى شق فمى ضامن ... لى الرزق حتى يتوفانى
حرمتنى خيرا كثيرا فما ... زادك فى مالك حرمانى[3]

(١) مرآة الجنان ص ٣٦٦.
(٢) والأبيات من البسيط.
(٣) والبيتان من السريع.

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته وكتب إلى الخليل يعتذر وأضعف جائزته، فقال الخليل:

وزلة يكثر الشيطان إن ذكـرت ... منـها التعجـب جـاء مـن سـليمان
لا تعجبن لخـير زل عـن يـده ... فالكوكب النحس يسقى الأرض أحياناً[1]

مؤلفـــــاته:

قال صاحب نشأ النحو: اتفقت كلمة العلماء على أن الخليل واضع فن الموسيقى العربيـة، وواضع علم العروض والقافية، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل المستعمل للآن وهو أول من دون معجماً بتأليفه كتاب العين، وله مؤلفات أخرى فى غير اللغة.

كتاب العين:

قال ابن النديم: ..... قال أبو بكر بن دريد : وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان وأربعـين ومائة ، قدم به وراق من خراسان، وكان فى ثمانية وأربعين جزءاً، فباعه بخمسين ديناراً، وكان سمع بهذا الكتاب أنه بخراسان فى خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق.

وقيل: إن الخليل عمل كتاب العين، وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به إلى العراق من خزائن الطاهرية ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد، ولا روى فى شئ من الأخبار أنه عمل بهـذا البتة" [2].

وأضاف ابن النديم قائلاً:

وقيل إن الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة، وأن الخليـل عملـه لـه وأحذاه طريقته، وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث وحروفه على ما يخرج من الحلـق واللـهوات فأولها العين والحاء، الهاء والخاء والغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الصاد، الضاد، السين، الراء، الطاء، الذال، التاء، الظاء، الثاء، الزاى، اللام، النون، الفاء، الميم، الواو، الألف، الياء"[3].

---

(١) ينظر إنباه الرواة على أنباء النحاة جـ ١ ص ٣٧٩، والبيتان من البسيط.
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٦٤.
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٦٤.

فهذه الأقوال منها ما يثبت أن العين من عمل الخليل ، ومنها ما يثبت أن الخليل بـدأه ولم يتمه وأتمه الليث بن نصر بن سيار.

وقيل: بل أكمله، وأنه بدأه بسياق مخارج الحروف ثم بإحصاء أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء فذكر أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع مـن الثنـائى والثلاثى والرباعى والخماسى من غير تكرير، ذكر ذلك حمزة الأصبهانى فى كتاب الموازنة فيما نقله عنه المؤرخون، وهذا صريح فى أنه أكمله[1].

وقد ذكر محقق كتاب العين الكثير فى الآراء وقام بمناقشتها والرد عليها وخلـص إلى هـذه النتيجة حيث قال: "وانتهى من هذا إلى أن المؤلف للعين هو الخليل، وأن المخرج للكتاب هو الليث ... أما الآراء الأخرى فقد رأينا أن أغلبها استنتاجى يعتمد فقط على الرواية دون النظر إلى وقائع الأمور، وبعد هذا يمكن القول بأن الخليل بن أحمد الفراهيدى هو الذى ألف كتاب العين من أولـه إلى آخره وأن تلميذه الليث كان راويته فى ذلك"[2].

وعن قيمة الخليل العلمية:

يقول صاحب نشأة النحو: "الثانى طور النشوء والنمو (بصرى كوفى).

هذا الطور من عهد الخليل بن أحمد البصرى، وأبى جعفر بن الحسن الرؤاسى إلى أول عصر المازنى البصرى، وابن السكيت الكوفى، فهذا الطور مبدأ الاشتراك بين البلدين فى النـهوض بهـذا الفن، والمنافسة فى الظفر بشرفه فقد تلاقت فيه الطبقة الثالثة البصرية برياسة الخليل والأولى الكوفية بزعامة الرؤاسى ... فوثب هذا الفن وثبة حيى بها حياة قوية أبدية بعد، وكان هذا الطور حريـاً أن يسمى طور النشوء والنمو ... على أن الخليل هو غرة جبين هذا الطور قد جمع بين اللغة النحو فإنه ذكر فى كتاب العين الذى هو الأساس لكتب اللغة فيما نعلم مقداراً كبيراً من النحو[3].

وعن مصادر الخليل يقول الطنطاوى:

---

(١) بغية الوعاة للسيوطى جـ ١ ص ٥٥٩ - ٥٦٠.

(٢) مقدمة كتاب العين للمحقق د/ عبد الله درويش جـ ١ ص ٢٧.

(٣) نشأة النحو للطنطاوى ص ٣٠ - ٣١.

"فالخليل بعد أن جاب بوادى الحجاز ونجد وقامة مواجهاً العرب فى صحرائها مستمعاً لأحاديثها يعود إلى البصرة ويستجمع كل ما سمع ويشحذ ذهنه الحاد، ويفرغ للبحث عن لآلئ هذا الفن من بحر علمه العميق حتى جمع أصوله، وفرع تفاريعه، وضم كل شئ إلى لفقه، وساق الشواهد، وعلل الأحكام وبلغ فى ذلك غاية محمودة فاتت كل من سبقه، بيد أنه اكتفى عن تدوينه موسوعة فيه بطلبته الذين كان يملى عليهم"(١).

ففضل الخليل على علم النحو لا ينكر وإن لم يترك مؤلفا فيه اعتزازا بنفسه، لأنه مسبوق بغيره فى هذا العلم الجليل، ولكنه لم يبخل على تلاميذه بعلمه، وكان سيبويه أكثرهم نبوغاً فى هذا العلم فجمع علم الخليل، وغيره من أساتذته كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمرو ويونس وغيرهم وكانت أمانته العلمية واضحة جلية حيث كان ينسب الرأى إلى قائله، وعامة الحكاية فى كتابه عن الخليل، وكلما قال (وسألته) أو (قال) من غير أن يذكر قائله فهو الخليل وقد بلغ ما رواه عنه فى الكتاب اثنتين وعشرين وخمسمائة مرة(٢).

تلاميذه:

١- سيبويه وسنفرد له ترجمة فى هذا البحث.

٢- على بن نصر الجهضمى: أخذ عن الخليل وغيره وغلب عليه الحديث توفى سنة سبع وثمانين ومائة(٣).

٣- أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى:

قال أول ما تعلمت القياس فى حلقة أبى زيد الأنصارى بالبصرة، وقد غلب عليه الشعر واللغة.

توفى سنة خمس وتسعين ومائة(٤).

٤- النضر بن شميل المازنى التميمى وكنيته أبو الحسن.

---

(١) نشأة النحو للطنطاوى ص ٣١.

(٢) ينظر سيبويه إمام النحاه للأستاذ/ على النجدى ص ٨٩ ومن أعلام البصرة سيبويه للدكتور صاحب جعفر أبو جناح ص ٣٠- ٣١.

(٣) ينظر مقدمة كتاب سيبويه للأستاذ هارون جـ١ ص ١٤، وطبقات النحويين للزبيدى ص ٦٧.

(٤) ينظر مقدمة كتاب سيبويه جـ ١ ص ١٤، والمزهر للسيوطى جـ٢ ص ٤٠٥.

أخذ عن الخليل والعرب ويقال: إنه أقام بالبادية أربعين سنة، وهو أول من أظهر السنة بمرووخراسان. وقد غلبت عليه اللغة، وله فيها كتاب الصفات، وله أيضاً (المدخل إلى كتاب العين) و (غريب الحديث) و(المصادر) كانت وفاته سنة ثلاث ومائتين[1].

٥- الأصمعي: هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن على بن أصمع بن مظهر... قال عنه السيوطى: "قال أبو الطيب: ولم ير الناس أحضر جواباً وأتقن لما يحفظ من الأصمعى، ولا أصدق لهجة، وكان يتقى أن يفسر الحديث، كما يتقى أن يفسر القرآن، وكان لا يفسر شعرا فيه هجاء، ولم يرفع من الأحاديث إلا الأحاديث اليسيرة وكان صدوقاً فى كل شئ، من أهل السنة ... قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى: عجائب الدنيا معروفة معدودة منها الأصمعى. ولم يحك الأصمعى ولا صاحباه عن الخليل شيئاً من اللغة؛ لأنه لم يكن فيها مثلهم ..."[2].

توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل سنة سبع عشرة ومائتين.

وفـــاته:

توفى الخليل بن أحمد سنة خمس وسبعين ومائة، ويروى عن ظروف وفاته أنه كان - رحمه الله - مشغولاً باختراع فرع من علم الحساب يمكن الجارية إلى أن تمضى إلى البقال فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد وهو مشغول الفكر بذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها فانقلب على ظهره وتوفى على أثر ذلك.

وقيل: بل كان يُقطّع بحرا من العروض والله أعلم أى الأمرين كان[3].

ومن أقواله - رحمه الله - : أربع تعرف بهن الآخرة: الصفح قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، والبذل قبل المسألة، ومخرج العذر قبل العتب[4].

وكان يقول: أكمل ما يكون الإنسان عقلا وذهنا إذا بلغ أربعين سنة وهى السن التى بعث فيها محمد (ﷺ) ثم يتغير وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة وهى السن التى قبض فيها رسول الله (ﷺ)[5].

---

(١) ينظر مقدمة كتاب سيبويه جـ١ ص ١٤، ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٦٨.

(٢) ينظر المزهر للسيوطى جـ٢ ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٣) ينظر إنباه الرواة على إنباء النحاة للقفطى جـ١ ص ٣٨١.

(٤) ينظر إنباه الرواة للقفطى ص ٣٨١.

(٥) ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ ص ٢٤٥.

ثانياً: سيبويه إمام النحاة

أولاً: حيـاته:

أ – اسمه ونسبه:

هو عمرو بن عثمان بن قنبر واختلف فى شكل اسم الجدّ واعتقد أن أرجحها قُنْبُـر بـضم القاف وفتح النون وسكون الباء وهو اسم عربى قح، وعن اكتفاء المؤرخين بهذا الجد الأول لسيبويه يقول الأستاذ أحمد بدوى تعليلاً لذلك:

"قد يكون من حقنا أن نستنبط منه أن أباه وجده هما اللذان دخلا فى الإسلام وسميا بأسمـاء عربية، ولم يكن لأجداده الفرس من الخطر ما يدفع المؤرخين إلى حفظ أسمائهم"(١).

فهو فارسى النسب لأبويه معاً، وكان هو وأسرته موالى لبنى الحارث ابـن كعـب أو لآل الربيع، أو يكون ولاؤه قد آل لآل الربيع بعد بنى الحارث.

ب– لقبـــــه:

سيبويه؛ واختلف فى معناه بالفارسية، فقيل: رائحة التفاح، وقيل: الثلاثون رائحة، وقيـل: التفاحة الصغيرة، وكان لقبه أشهر من اسمه من قبيل تطابق الصفة مع الموصوف، فقد أجمع المؤرخون على حسن صورته وهيئته وطيب رائحته.

جـ– كنيتـــه:

كنى سيبويه كُنىً وهى: أبو بشر، وأبو الحسن، وأبو عثمان، والأولى أشهرها.

د – مولده ونشأته:

ولد بالبيضاء إحدى قرى شيراز من بلاد فارس، ولم تتحدد سنة مولده ولكن أقـرب الآراء أنه ولد سنة خمسين ومائة أو أربعين ومائة هجرية. والأول أرجح.

هـ– علمـــه:

بدأ سيبويه كغيره من أبناء عصره بحفظ القرآن، وأشعار العرب، والسيرة النبوية، وتـاريخ الغزوات، وقد أجمع المؤخرون على أنه لم يطلب النحو أولا، بل كان يدرس الفقه والحديث.

---

(١) سيبويه حياته وكتابه للأستاذ أحمد أحمد بدوى ص ٥.

تعلمه النحـو:

كان سيبويه يستملى على حماد بن سلمة حديث رسول الله (ﷺ) فلحن مرة عندما أملاه حماد قول رسول الله (ﷺ) : "ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء"[1].

فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء؛ لكن حماداً رده وقال له: لحنتيا سيبويه (ليس أبا الدرداء)، فأقسم سيبويه أن يطلب العلم الذى يعصمهمن اللحن، فلزم الخليل بن أحمد؛ ليأخذ عنه أصول هذا العلم، والمطلع على كتاب سيبويه يدرك مبلغ علمه ودقة فهمه للغة العربية وتعمقه فى دراسة معانيها وأوجه استعمال العرب لها. وعدد حروفها ووصف مخارجها وصفات تلك الحروف وقد برع فى علم النحو حتى اكتملت فنونه على يديه وكان كتابه هو أول ما وصلإلينا فأصبح مرجعاً هاماً لا بديل عنه لكل المتخصصين فى هذا العلم.

و- أساتذته:

كان سيبويه موفقاً فى اختيار أساتذته، فكانوا جميعاً علماء أجلاء عباقرة فى علومهم، متسمين بالورع والزهد وتقوى الله؛ فكانوا ثقاتٍ فيما يروونه عن العرب وأشهرهم حسب تاريخ وفياتهم:

١- عيسى بن عمر الثقفى البصرى[2].

٢- أبو عمرو بن العلاء[3].

٣- حماد بن سلمة بن دينار البصرى: كان مولى لتميم روى عن كثير من التابعين، وكان مفتى البصرة، لم يكن له قرين فى الفضل والدين والنسك وكان عالماً بالنحو، وهو أول من لزمه سيبويه لطلب الحديث قال عنه يونس: أول من تعلمت منه النحو: حماد بن سلمة.

---

(١) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام جـ١ ص ٢٩٤، ونشأة النحو للطنطاوى ص ٦٢.

(٢) سبق الكلام عنه ص ١٠.

(٣) سبق الكلام عنه ص ٩.

وقال حماد: (من لحن فى حديثى فقد كذب علىّ) وهذا دليل على تمكنه من علم النحو، وكان له الفضل فى طلب سيبويه للنحو. توفى سنة سبع وستين ومائة من الهجرة"[1].

٤- هارون بن موسى النحوى: وكان يهودياً من أهل البصرة وقد أسلم، طلب القراءة حتى صار إماماً فى علم القراءات، وهو أول من تتبع وجوه القراءات حتى الشاذ منها وبحث عن إسناده، روى عنه سيبويه حوالى خمس مرات فى كتابه. توفى سنة سبعين ومائة تقريباً[2].

٥- الخليل بن أحمد الفراهيدى: وقد ذكرنا ترجمة له.

٦- الأخفش الأكبر: هو عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب مولى بنى قيس بن ثعلبة، وهو شيخ يونس، كان معروفاً بورعه وتدينه، أخذ اللغة عن الأعراب، وعن أبى عمرو بن العلاء فكان إماماً فى العربية، أخذ عنه سيبويه اللغة وشيئاً فى النحو، وروى عنه فى كتابه سبعاً وأربعين مرة توفى سنة سبع وسبعين ومائة من الهجرة[3].

٧- يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن مولى بنى ضبة: أخذ عن أبى عمرو ابن العلاء وعن حماد بن سلمة وتتلمذ عليه سيبويه والكسائى والفراء وأبو عبيدة، له آراء انفرد بها وقد أكثر سيبويه من النقل عنه بعد الخليل حيث بلغ ما نقله عنه نحو مائتى مرة. توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة هجرية[4].

---

(١) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ٨ - ٩، وأخبار النحويين البصريين للسيرافىص ٥٩، وطبقات الزبيدى ص ٥١.

(٢) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١١ - ١٢، وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٥٤ - ٥٦، وطبقات الزبيدى ص ٤٧ - ٥١.

وينظر (سيبويه إمام النحاة) للأستاذ على النجدى ص ٨٩ وينظر (من أعلام البصرة سيبويه) للدكتور صاحب جعفر أبو جناح ص ٣٠ - ٣١.

(٣) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ٩، وينظر نشأة النحو للطنطاوى ص ٦٣.

(٤) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١٠-١١، وطبقات النحويين للزبيدى ص ٥١- ٥٣.

٨- الرؤاسى: وهو محمد بن أبى سارة سمى بالرؤاسى؛ لأنه كان عظيم الرأس وكان كوفيا، وهو أول من وضع من الكوفيين كتاباً فى النحو، وكان أستاذاً للكسائى والفراء، روى عنه سيبويه، وكان يقصده بقوله: (الكوفى)، وتوفى سنة سبع وثمانين ومائة فى عهد الرشيد[١].

٩- يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى البصرى القارئ، له قراءة مشهورة هى إحدى القراءات العشر، توفى سنة خمس ومائتين"[٢].

١٠- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى: وكان ثقة مأموناً فى رواية الحديث واللغة، أبوه: أوس بن ثابت من رواة الحديث، وجده ثابت بن بشير أحد الثلاثة الذين جمعوا القرآن فى عهد الرسول (ﷺ) . أخذ عنه سيبويه اللغة، وكان أبو زيد يفتخر بالكناية التى اختارها له سيبويه وهى (أخبرنى من أثق بعربيته) أو (أخبرنى الثقة) أو (من لانتهم).

روى عنه سيبويه فى كتابه حوالى تسع مرات. توفى بالبصرة بعد ما قارب المائة سنة خمس عشرة ومائتين[٣].

ز- زمـــلاؤه:

١- على بن نصر الجهضمى: غلب عليه الحديث وتوفى سنة سبعوثمانين ومائة[٤].

٢- أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى[٥].

٣- أبو الحسن النضر بن شميل[٦].

---

(١) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١٣- ١٤ ونشأة النحو للطنطاوى ص ٩٨، ٢٦٨.

(٢) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ٩.

(٣) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١٢.

(٤) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١٤.

(٥) سبق الكلام عنه ص ١٧.

(٦) سبق الكلام عنه ص ١٧.

ح- تلاميـــــذه:

١- أبو الحسن سعيد بن مسعدة: الشهير بالأخفش الأوسط: أخذ عن شيوخ سيبويه، وعن سيبويه مع أنه كان أكبر سناً منه، شهد مولد الكتاب وهو الذى أذاعه توفى سنة خمس عشرة ومائتين، أو أربع عشرة ومائتين[١].

٢- أبو على محمد بن المستنير البصرى، لقبه سيبويه بقطرب ليل، لما كان ملازماً له، وقد أخذ عن عيسى بن عمر كذلك ، والقطرب: دويبة لا تستريح نهارها سعيا. حذق الجـــدل والكـــلام ومال إلى المعتزلة النظامية، له تصانيف كثيرة منها كتاب العلل فى النحو. توفى ببغداد ســـنة ٢٠٦ هـــ[٢].

٣- الناشى: قال أبو الطيب: "وكان ممن أخذ عن سيبويه والأخفش رجل يعرف بالناشـــى وضـــع كتباً فى النحو مات قبل أن يتمها وتؤخذ عنه. قال عنه المبرد: لو خرج علم الناشى إلى الناس لما تقدمه أحد"[٣].

ط- أخلاقـــه وصفاتـــه:

كان سيبويه ورعاً دينا صادقاً أميناً فيما نقله عن أساتذته، ثقة فيما نسبه إليهم وقـــد أهلـــه للمكانة التى وصل إليها ذكاؤه وصفاء ذهنه، ورجاحة عقله، ودقة فهمه، ومنطقية تفكيره ونضجه وقدرته على التعمق فى فهم أسرار اللغة العربية؛ فكان يحسن القياس ويجيد التفريع، ويبتكر التعليل.

ى - حبســـة لســـانه:

كان سيبويه على الرغم مما وصل إليه من مكانة رفيعة لتفوقه وعبقريته، وتمكنه من أســـرار علم النحو، وطموحه الشديد أن ينال حظه، ويعرف قدره غير موفق فيما أمل فيه وتطلع إليـــه أن يكون أستاذاً للنحو فى العالم الإسلامى بأسره بلا منافس لثقته الشديدة بعلمـــه، وقـــد أخفـــق فى مناظراته بسبب حبسه لسانه حيث لم يكن يستطيع التأثير فى سامعيه فكان قلمه أبلغ من لسانه.

---

(١) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١٥، ونشأة النحو للطنطاوى ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١٥ - ١٦، ونشأة النحو للطنطاوى ص ٨٦.

(٣) ينظر مقدمة الكتاب لسيبويه ص ١٦ والمزهر للسيوطى ص ٤٠٩.

وقد اعترف الأصمعى بذلك بعد فوزه فى المناظرة التى كانت بينهما لفصاحته مع أن الحق كان مع سيبويه، ثم دفعه طموحه إلى مناظرة الكسائى، فذهب إليه فى بغداد أثناء خلافه الرشيد ووزارة خالد البرمكى، وسأل سيبويه البرمكى أن يعقد مناظرة بينه وبين الكسائى فنصحه البرمكى ألا يفعل، ولكن سيبويه لشدة ثقته فى نفسه وعلمه أصر على اللقاء، فأجابه إلى ما طلب.

واحتال الكوفيون عليه فحاولوا كسر شوكته وفت عضده قبل أن يلقى الكسائى فسأله الفراء بحضرة الأحمر وهشام عن مسائل خطأه فيها جميعاً حتى غضب سيبويه.

ولا نشك فى أن السياسة قد لعبت دورها فى ترجيح الكسائى على سيبويه لمكانته عند الخليفة لما كان مؤدباً لولده الأمين، فقيل: إنهم طلبوا من الأعراب أن يقولوا: الحق مع الكسائى، أو الصواب: ما ذكره الكسائى. وهكذا فقد كانت هذه الأسباب مجتمعة سبباً فى إخفاق سيبويه هذه المرة. وهى:

أ – حبسة لسانه وتحامل الكوفيين عليه.

ب– عدم وجود أنصار لسيبويه يشهدون هذه المناظرة.

جـ– التعصب للكسائى لمكانته من الخليفة.

د – احتيال الكسائى باختياره هذه المسألة بالذات وهو يعلم أن البصريين لا يقرون النصب فيها.

كان تخطيطا منه ليهزم خصمه ومنافسه الخطير، الأمر الذى دفعه أن يكفر عنه حين اقترح على يحيى أن يهب سيبويه شيئاً فلا يرده خائباً بعد ما لحقه من مرارة الهزيمة[1].

ك – وفـــاته:

على الرغم من مكافأة يحيى البرمكى لسيبويه بعشرة آلاف درهم حمله شعوره بالإحباط ويأسه من تحقيق حلمه، وكسب مكانة مرموقة تليق بعلمه على الخروج من بغداد حزيناً لصدمته الشديدة التى لم يتوقعها ولم يستطع العودة إلى البصرة منهزماً فآثر العودة إلى بلده (البيضاء) مسقط رأسه ولكنه توفى قبل أن يصل إليها، ودفن بشيراز سنة إحدى وثمانين ومائة على أرجح الأقوال وكان يتمثل عند موته بقول القائل:

(١) ينظر من أعلام البصرة سيبويه للدكتور/ صاحب جعفر أبو جناح ص ٤٠– ٤٦.

يؤمـــل دنيـــا لتبقـــى لـــه ٠٠ فمـــات المؤمـــل قبـــل الأمـــل[1]
حثيثـــا يـــروى أصـــول الفـــسيل ٠٠ فعـــاش الفـــسيل ومـــات الرجـــل

فكان هذا القول دليلاً على مدى تأثره الشديد بهزيمته أمام الكسائى.

ثانياً: كتاب سيبويه:

حظى الكتاب بمكانة فريدة لم تسبق لغيره من الكتب حيث سمى بقرآن النحو، وليس ذلـك غريباً حيث كان كتابه دليل ألمعية سيبويه وعبقريته، وقوة شخصيته التى تشعر أنها تصاحبك، وتظهر جلية واضحة، كما تدلك على مبلغ علمه باللغة العربية، وتعمقه فى الفهم، وكـشفه لأسـرارها وحكمتها وبلاغتها.

وقد عرف الناس قيمة الكتاب، وكانوا يحفظونه ويفتخرون بقراءته لعظيم فائدته حتى كـان المبرد يشبهه بالبحر فيقول: هل ركبت البحر ؟ تعظيماً له واستعظاماً لما فيه.

وقال عنه المازنى: من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستحى وكان الجاحظ قد أهداه إلى محمد بن عبد الملك بعد أن اشتراه من ميراث الفراء لشرفه وقيمتـه وعلـو قدره، فكان لهذه الهدية أكبر الأثر فى نفسه.

والكلام عن كتابه يتضمن النقاط الآتية:

١- مصـــادره:

من استعراضنا لأساتذة سيبويه وشيوخه يتضح لنا أهم المصادر التى نهل منها سـيبويه، ولا شك أن سيبويه قد استفاد من الكتب المؤلفة قبله، ومن كل محاولات الكتابة فى هذا العلـم منـذ وضعه أبو الأسود الدؤلى حتى سيبويه، فكان كتابه هو الثمرة المرجوة لكل ما بـذل مـن مجهـود لتدوين هذا العلم بعد تدوين أصوله.

(١) روايته فى مقدمة كتاب سيبويه (فوافى المنية دون الأجل) ينظر مقدمة كتاب سيبويه ص ١٩، ومـن أعـلام البصرة سيبويه للدكتور صاحب جعفر أبو جناح ص ٥١، والبيتان من المتقارب محذوف العروض والضرب أيضاً.

فجمع سيبويه ما تفرق من كتب السابقين، وحصر شواهدهم، وأضاف إليها ما سمعه بنفسه، وسأل عما انغلق عليه فهمه، ونقل عن أساتذته الذين تحدثنا عنهم، ووازن بين أقوالهم موازنة قائمة على سعة الإطلاع، والتمكن من العلم وبراعته فيه فتراه يسأل ويصدر الأحكام، ويعلل لها ويقيس عليها مما يدل على فهم عميق، وسعة أفق وتمرس بهذا العلم.

٢- شـــواهده:

أ - استشهد سيبويه بالكثير من الشواهد الشعرية بلغت حوالى ألف وخمسين بيتـاً، أمـا الألـف فمنسوبة إلى قائليها، وأما الخمسون فمجهولةً القائل، وصح الاستشهاد بها لأنه كان ثقة فيما يرويه عن العرب.

ب- كما بلغ استشهاده بآيات القرآن الكريم حوالى إحدى وعشرين وأربعمائة آيـة إلى جانـب الأحاديث النبوية الشريفة، وكلام العرب وأمثالهم وحِكَمِهم. قال صـاحب نـشأة النحـو "فالقرآن قد بلغ ما ذكره فى الكتاب من آى ما يربى على ثلثمائة آية"[١].

وكانت المباحث الصرفية فى كتاب سيبويه لأبنية كلام العرب خير دليل على غزير علمـه بلغة العرب؛ حتى إن كتابه يعد مرجعاً من مراجع اللغة ومفرداتها وغريب ألفاظها حتى قال الزجاج: إذا تأملت الأمثلة التى وردت فى كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة.

ويقول النحاس نقلاً عن المبرد: إن المفتشين من أهل العربية تتبعوا أمثلة سيبويه فلم يجـدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة منها (الهُنْدِلع) وهى بقلة، و(الدرداقس) وهو عظم فى القفـا، و(شمنصير) وهو اسم أرض.

وينقل صاحب الخزانة أن سيبويه روى فى كتابه كثيراً فى غريب هذه اللغة حتى إن أهل اللغة لم يدركوا كل ما فيها ومع ذلك فهم لم يردوا منها حرفاً ثقة فى كل ما يقول[٢].

٣- أثـــره:

يعد كتاب سيبويه صورة صادقة لما وصل إليه التقدم العلمى فى علم العربية، وصورة حية لما كانت عليه دراسة النحو من التعليل والقياس والاستنتاج والتفريع، فلم يصل إلى مكانتـه كتـاب

(١) نشأة النحو للطنطاوى ص ٦٦.

(٢) ينظر من أعلام البصرة سيبويه للدكتور صاحب جعفر أبو جناح ص ٨٧ - ٨٨، وخزانة الأدب جـ١ ص ١٧٩.

قبله، وإلى الآن فكتاب سيبويه هو المرجع الأول والمنبع الوفير لهذين العلمين فكان جديراً أن يطلق عليه (قرآن النحو). ولا يستطيع دارس أو متخصص فى علم النحو أو الصرف الاستغناء عنه أو الاكتفاء بغيره من الكتب التى ألفت بعده، وخير دليل على ذلك أن العلماء قد انتفعوا به فى غير علم اللغة فها هو ذا الجرمى يقول: "أنا مذ ثلاثين أفتى الناس فى الفقه من كتاب سيبويه" هذا ما حكاه عنه أبو بكر بن شقير حيث قال: "حدثنى أبو جعفر الطبرى قال: سمعت الجرمى يقول ... قال فحدثت به محمد بن يزيد (المبرد) على وجه التعجب والإنكار فقال: أنا سمعت الجرمى يقول هذا، وأومأ بيده إلى أذنيه، وذلك أن أبا عمر الجرمى كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه فى الحديث إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش"[1].

وفى دراستى لرسالة الدكتوراة وعنوانها "أثر كتاب سيبويه فى كتاب التصريف للمازنى" أثبت قيمة كتاب سيبويه فى علم الصرف حيث قيل إن كتاب التصريف للمازنى يساوى كتاب سيبويه فى النحو، وهذا غير دقيق؛ لأن المازنى كثيرا ما يوجز التعبير إيجازا مخلاً بالمعنى على حين نجد سيبويه يفصل ويوضح ويقيس ويعلل.

ولاحظت قوامة منهجه فى بحث المسائل والإفاضة فيها مما يجعلنا نجزم بما صرح أنه لم يترك شيئاً لم يذكره، بل كان يوضح مذاهب العرب فى استعمالهم ولهجاتهم، ما وافق منها القياس عند النحاة، وما شذ عن أقيستهم وقواعدهم وكان يعلل كل شئ، ويذكر آراء النحاة والعلماء المختلفة إن كان هناك خلاف، وما اجتمعت عليه أقوال النحاة مع العرب، وما يراه من وجهة نظره عربياً خالصاً من هذه اللهجات، وما يراه قبيحاً أو قليل الاستعمال. وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على سعة اطلاعه، ومبلغ علمه، وغزارة مادته وتمكنه من اللغة العربية، والغوص فى أغوارها، وكشف أسرارها، وإظهار مكنونها، وتوضيح غامضها حتى بلغ الغاية من دقة الفهم، وعمق التفكير، وبراعة التأليف مما جعله يستحق بجدارة أن يكون إماماً للنحاة على مر العصور.

(١) ينظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٧٥.

موازنة بين الخليل وسيبويه
من خلال العَيْن للخليل، والكِتاب لسيبويه

بدأ سيبويه بما يكون على حرف واحد من حروف المعانى فقال:

"هذا باب عِدَّة ما يكون عليه الكلم

وأقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد وسأكتب لك ما جاء على حرف بمعناه إن شاء الله، أما ما يكون قبل الحرف الذى يجاء به له فالواو التى فى قولك: مررت بعمروٍ وزيد، وإنما جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول وتجمعهما، وليس فيه دليل على أن أحدهما قبل الآخر" (١).

وهنا نجد أن نص سيبويه أكثر شمولاً من قول الخليل حيث بدأ الخليل بالكلام عن الثنائى من حروف المعانى، أما سيبويه فبدأ بالكلام عن الحرف الواحد ومثل له بـ (الواو) العاطفة ووضح كلامه بجملة بين فيها الغرض من الواو وهو ضم شئ إلى آخر وأنها لا تدل على ترتيب ثم تكلم عن (الفاء) فقال:

"والفاء وهى تضم الشئ إلى الشئ كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك منسقاً بعضه فى إثر بعض وذلك: مررت بعمروٍ فزيدٍ فخالد، وسقط المطر بمكان كذا وكذا، فمكان كذا وكذا وإنما يقرو – أى يتبع – أحدهما بعد الآخر" (٢).

فنص على (الفاء) ومثل بنفس المثال السابق ليدل على أن الفاء تفيد الترتيب مع التعقيب.

ثم تكلم عن الكاف التى للتشبيه وعدها من الحروف وقد أثبتنا بالبحث أن الكاف اسم وليست حرفا؛ لأنها بمعنى (مثل) ولوقوعها مسنداً، ومسنداً إليه ومفعولاً به.

قال سيبويه: "وكاف الجر التى تجئ للتشبيه وذلك قولك: أنت كزيد" (٣).

فسيبويه يذكر الحرف، ويوضح معناه ويمثل له بجملة توضح قوله.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢١٦.

(٢) الكتاب جـ ٤ ص ٢١٧.

(٣) الكتاب جـ٤ ص ٢١٧.

ويستطرد عن الحروف بقوله:

"ولام الإضافة ومعناها الملك واستحقاق الشئ ألا ترى أنك تقول: الغلام لك، والعبد لك، فيكون فى معنى: هو عبدك، وهو أخٌ له، فيصير نحو: هو أخوك، فيكون مستحقاً لهذا كما يكون مستحقاً لما يملك؛ فمعنى هذه اللام معنى إضافة الاسم ....." (١).

فوضح معنى اللام بأمثلة تبين معناها من الملك والاستحقاق.

وقال أيضاً:

"وباء الجر إنما هى للإلزاق والاختلاط وذلك قولك: خرجت بزيد ودخلت به وضربته بالسوط، ألزقت ضربك إياه بالسوط فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله" (٢).

فنص على أن (الباء) من حروف الإضافة ووضح معناها ومثل لقوله بجملة توضح استعمالها.

ومن حروف المعانى كذلك (واو) القسم، وتاؤه.

قال سيبويه: "والواو التى تكون للقسم بمنزلة الباء وذلك قولك: والله لا أفعل والتاء التى فى القسم بمنزلتها وهى: تالله لا أفعل" (٣).

فقاس الواو على الباء لاستعمالهما فى القسم، وذكر التاء بمناسبة الكلام عن القسم، ومثل بجملة قسمية تدل على استعمال التاء للقسم كالواو.

ثم تكلم عن السين فقال: "والسين التى فى قولك (سيفعل)، وزعم الخليل أنها جواب لمن يفعل" (٤).

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢١٧.

(٢) الكتاب جـ٤ ص ٢١٧.

(٣) الكتاب جـ ٤ ص ٢١٧.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٧.

فالسين من الحروف المختصة بالدخول على الأفعال، ونص على قول الخليل فيها بأنها جواب (لن يفعل) للدلالة على المستقبل المثبت كما كانت (لن) للدلالة على نفى الفعل فى المستقبل.

وأضاف سيبويه:

"والألف التى فى الاستفهام، ولام اليمين التى فى لأفعلن"[1].

وبعد أن ذكر حروف المعانى التى على حرف واحد تكلم عن الأسماء التى ترد على حـــرف واحد وهى : الضمائر المتصلة.

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٧.

الأسماء الأحادية (الضمائر المتصلة)

قال سيبويه: "وأما ما جاء منه بعد الحرف الذى جئ به له فعلامة الإضمار وهى (الكاف) التى فى (رأيتك وغلامك)، والتاء التى فى (فعلتُ، وذهبتُ) والهاء التى فى (عليه) ونحوها، وقد تكون الكاف غير اسم ولكنها تجئ للمخاطبة، وذلك نحو: كاف (ذاك) فالكاف فى هذا بمنزلة التاء فى قوله: (فعلتْ فلانة) ونحو ذلك والتاء تكون بمنزلتها وهى التى فى (أنت)"[1].

فذكر علامات الإضمار من الأسماء كالكاف ومثل لوقوعها مفعولاً به، ومضافاً إليه، وتاء الفاعل المتصلة بالفعل الماضى، والهاء التى تكون فى محل خفض بالإضافة إلى الظرف (على) ثم ذكر أن الكاف تكون حرف خطاب ومثل لذلك بإضافتها إلى اسم الإشارة. وتاء التأنيث التى تدخل على الفعل الماضى، وتاء المخاطب وهى حرف من الضمير (أنت).

وعلق سيبويه على ما سبق بقوله:

"واعلم أن ما جاء فى الكلام على حرف قليل، ولم يشذ علينا منه إلا ما لا بال له، إن كان شذ، وذلك لأنه عندهم إجحاف أن يذهب من أقل الكلام عدداً حرفان وسنبين ذلك إن شاء الله"[2].

فهو يوضح أن كون الحرف أو الاسم على حرف واحد قليل، ويؤكد شموله واستقراءه لكلام العرب بقوله: "ولم يشذ علينا منه إلا ما لا بال له إن كان شذ".

ثقة منه فى الإلمام باللغة وتمكنه من ناصيتها.

وعلل لحكمه بأن أقل الكلام عدداً الثلاثى من الأسماء والأفعال فكرهوا أن يذهب منه حرفان فيبقى على حرف واحد.

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٨.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٨.

وأضاف سيبويه:

"ولا يكون شئ من الفعل على حرف واحد لأن منه ما يضارع الاسم وهو يتصرف ويُـــبنى أبنية، وهو الذى يلى الاسم، فلما قرب هذا القرب لم يُجْحَف به إلا أن تُدرِكَ الفعل عِلَّةٌ مطردة فى كلامهم فى موضع واحد فيصير على حرف، فإذا جاوزت ذلك الموضع رددت ما حذفت.

ولم يلزمها أن تكون على حرف واحد إلا فى ذلك الموضع وذلك قولك: عِ كلامـــاً وعِـــه وشِه، وقِ، من الوِقاء"(١).

فسيبويه يكمل حديثه عن الأحادى من الحروف، والأسماء المبنية كالضمائر المتصلة بالكلام عن الأفعال وأنه لا يكون على حرف واحد إلا بحذف بعض حروفه ومثل لقوله بفعل الأمـــر مـــن اللفيف المفروق نحو وعى، ووشى، ووقى فيحذف منه حرفان ويبقى على حرف واحد؛ لأن فعـــل الأمر فى الواقع هو مضارع حذفت منه اللام والتاء لكثرة الاستعمال، وقد تدخل عليه هاء السكت نحو عه، وشه، وقه، وهو ما مثل به سيبويه.

(١) الكتاب لسيبويه جـــ ٤ ص ٢١٩.

الثنائى (من حروف المعانى) وغيرها من الأسماء والأفعال

"قال أبو مُعاد عبد الله عائذ: حدثنى الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما فى هذا الكتاب. قال ليث: قال الخليل:

كلام العرب مبنى على أربعة أصناف: على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى:

والثنائى على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل ونحوه من الأدوات والزجر"(١).

فالليث يحكى عن الخليل قوله: إن كلام العرب مبنى على أربعة أصناف، وبدأ بالثنائى ومثل له ببعض حروف المعانى قال ونحوها من الأدوات والزجر.

وعلق محقق الكتاب على (الزجر) بقوله "ولعله يقصد بالزجر أسماء الأفعال مثل: صه"(٢).

ويبدأ سيبويه الكلام عن الثنائى من الأسماء والأفعال فيقول:

"ثم الذى يلى ما يكون على حرف ما يكون على حرفين وقد تكون عليها الأسماء المظهرة المتمكنة والأفعال المتصرفة وذلك قليل؛ لأنه إخلال عندهم بهن، لأنه حذف من أقل الحروف عدداً"(٣) يقصد الثلاثى.

ويمثل لما سبق بقوله:

"فمن الأسماء التى وصفت لك: يدٌ، ودمٌ، وحرٌ، وستٌ، وسَهٌ يعنى الاست، و (دَدٌ) وهو اللهو، وعند بعضهم الحسن، فإذا ألحقها الهاء كثرت لأنها تقوى وتصير عدتها ثلاثة أحرف"(٤).

فمثل ببعض الأسماء المعربة محذوفة اللام نحو يد ودم وغيرها.

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد جـ١ ص ٥٣.

(٢) حاشية المحقق على كتاب العين جـ١ ص ٥٣ وأرى أن الأنسب (لا) الناهية لأنه مثل بحروف نحو: قد، ولم وهل وغيرها.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٩.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٩.

ويمثل للأفعال بقوله:

"وأما ما جاء من الأفعال فخذ، وكل ، ومر، وبعض العرب يقول: أُوْكل فيتم. كما أن بعضهم يقول فى غدٍ (غَدْوٌ)" (١).

فيذكر أمثلة من فعل الأمر كذلك محذوفة الفاء وأصلها (أخذ، وأكل، وأمر) وأخرى من الفعل الأجوف عند الأمر به حيث يقول:

"ولا يكون من الأفعال شئ على حرفين إلا ما ذكرت لك إلا أن تلحق علة مطردة فى كلامهم فتصيره على حرفين فى موضع واحد ثم إذا جاوزت ذلك الموضع رددت إليه ما حذفت منه وذلك قولك: قل، وإنتق أقه"(٢).

فمثل بأفعال معتلة كالأجوف (قال) عند الأمر به، والمضارع من (وقى) عند دخول أداة الشرط عليه. فيحذف فاؤه ولامه، وتدخل عليه هاء السكت كذلك.

ويذكر أمثلة لما دخلته الهاء عوضا من اللام المحذوفة فى بعض الأسماء أو الفاء المحذوفة بقوله: "وما لحقته الهاء من الحرفين أقل مما فيه الهاء من الثلاثة؛ لأن ما كان على حرفين ليس بشئ مع ما هو على ثلاثة: وذلك نحو: قُلَةٍ ، وثُبَةٍ ، ولِثَةٍ وشِيَةٍ وشَفَةٍ ورِئَةٍ وسَنَةٍ وزِنَةٍ وعِدَةٍ وأشباه ذلك"(٣).

فـ (قلة) و (ثبة) محذوفة اللام وكذلك لثة وشفة سنة، أما زنة وعدة فمحذوفة الفاء.

ويستطرد سيبويه:

"ولا يكون شئ على حرفين صفة حيث قلّ فى الاسم، وهو الأول الأمكن، وقد جاء على حرفين ما ليس باسم ولا فعل، ولكنه كالفاء والواو وهو على حرفين أكثر؛ لأنه أقوى وهو فى هذا أجدر أن يكون، إذ كان يكون على حرف .... فمن ذلك أمْ، وأو، وقد بين معناهما.

---

(١) الكتاب جـ ٤ ص ٢١٩.

(٢) الكتاب جـ ٤ ص ٢٢٠.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٠.

و (هل) وهى للاستفهام، و (لم) وهى نفى لقوله فَعَل، و (لنْ) وهى نفى لقوله: سيفعل و (إن) وهى للجزاء....."[1].

فيقرر سيبويه أن الصفة لا تكون على حرفين لقلة ذلك فى الاسم وهو الأمكن ثم مثل للثنائى من حروف المعانى بقوله (أم) و (أو)، وهما من حروف العطف، و (هل) وبين أنها من الحروف للاستفهام، و (لم) لنفى الماضى و (لن) وهى لنفى المستقبل و (إن) الشرطية.

وأضاف سيبويه:

"و (إن) وهى للجزاء وتكون لغواً فى قولك: ما إن يفعل.

"وما إن طِبُّنا جُبْنٌ[2] ....

وأما (إنْ) مع (ما) فى لغة أهل الحجاز فهى بمنزلة (ما) فى قولك (إنّما) الثقيلة، تجعلها من حروف الابتداء وتمنعها أن تكون من حروف (ليس) وبمنزلتها"[3].

وبذلك يتضح قيمة (إن) مع ادغائه زيادتها فجعلها كافة لما النافية عن العمل عمل (ليس).

كما كَفَّتْ (ما) (إنَّ) عن العمل وأزالت اختصاصها بالجملة الاسمية.

ثم تكلم عن (ما) بقوله:

"وأما (ما) فهى نفى لقوله: (هو يفعل) إذا كان فى حال الفعل فتقول ما يفعل، وتكون بمنزلة (ليس) فى المعنى، تقول: عبد الله منطلق، فتقول: ما عبد الله منطلق أو منطلقاً فتنفى بهذا اللفظ كما تقول: ليس عبد الله منطلقاً.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٠.

(٢) وتمامه: وما إن طبناجبن ولكن .... منايانا ودولة آخرينا، والبيت لفروة بن مسيك. ينظر الكتاب لسيبويه جـ ٣ ص ١٥٣ والشاهد فه : زيادة (إن) ووقوعها لغوا بعد (ما)، والبيت من الطويل.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٠ - ٢٢١.

وتكون توكيداً لغواً، وذلك قولك: متى ما تأتنى آتك، وقولك: غضبت من غير ما جـرم، وقال الله عز وجل: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ [1] وهى لغو فى أنها لم تحدث إذ جاءت شيئاً لم يكن قبل أن تجئ من العمل وهى توكيد للكلام"[2].

فتكلم عن (ما) ومعناها نفى الحال كما أن (لم) لنفى الماضى، و (لن) لنفى المستقبل، ولـذا تعمل عمل ليس فى لهجة أهل الحجاز لاتفاقهما فى نفى الحال.

وأضاف أنها تكون توكيدا وضرب أمثلة لزيادتها للتوكيد وقوله (توكيدا) يناقض قوله (لغوا) لأن المعنى مع (ما) يختلف عن المعنى بدونها فلا تكون لغوا. أما عن زيادتها بعد (متى) فهى فى الواقع مصدرية وقتية وليست بزائدة.

و (ما) فى قولهم: (غضبت من غير ما جرم) نكرة تامة بمعنى شئ وما بعـدها بـدل منـها وكذلك فى قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ فهى نكرة تامة وما بعدها بدل منها كما قال ابن كيسان[3] ووافقه القرطبى[4] وهو الراجح فى هذه الآية فهو باب من أبواب البلاغة فيه بيان بعد إبهام.

وتكون (ما) كافة لإن وأخواتها عن العمل، وعنها يقول سيبويه:

"وقد تغير الحرف حتى يصير يعمل لمجيئها غير عمله الذى كان قبل أن تجئ وذلك نحو قوله: إنما، وكأنما، ولعلّما، جعلتهن بمنزلة حروف الابتداء ومن ذلك (حيثما) صـارت لمجيئهـا بمنزلـة (أين)"[5].

---

(١) سورة النساء آية (١٥٥)، سورة المائدة آية (١٣).

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢١.

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ٢٤٨.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ٢٤٨.

(٥) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢١.

فما تكف (إن) وأخواتها عن العمل ويصرن حروف ابتداء. كما تدخل (ما) على حيث فتجعله من أسماء الشرط بمنزلة (أين).

قال السيرافى: "يعنى صارت تجئ (ما) مما يجازى به فتقول: حيثما تكن أكن، كما تقول: أين تكن أكن، ولا يجوز أن تقول: حيث تكن أكن بغير (ما) ."(١)

وهذا القول من السيرافى مذهب البصريين، أما الكوفيون فيجيزون أن تكون (حيث) للجزاء بدون (ما). قال أبو حيان:

"وإذا وحيث يشترط فى الجزم بهما اتصالهما بـ (ما) على مذهب الجمهور، وذهب الفراء إلى أن ذلك ليس بشرط، وأنه يجوز الجزم بهما دون (ما)، و (من) ."(٢)

و (ما) الداخلة على (حيث) هى (ما) الكافة لأن (حيث) ملازمة للإضافة إلى الجمل فدخلت عليها (ما) لتكفها عن الإضافة.

قال الدكتور إبراهيم حسن "اتصال (ما) بهذه الأدوات على ثلاث أضرب:

١- ضرب لا يجزم إلا مقترناً بها وهو (حيث وإذ) وقد اختلف العلماء فى تعليل ذلك، فقال الدمامينى: "وإنما وجبت زيادة (ما) فيهما لتكفهما عن الإضافة فيتأتى الجزم بهما، وإنما لم تجتمع الإضافة والجزم لأن المضاف إليه حالّ محل الاسم فهو واجب الجر فكيف يجزم؟، وقال الفارضى: زيدت (ما) فيهما فرقاً بين حالة جزمهما وحالة عدمه، وأجاز الفراء الجزم بهما بدون (ما) ".

٢- وضرب لا يلحقه (ما) وهو (من)، و (ما) و (مهما) و (أنى) وأجازه الكوفيون فى (من) و (أنى).

٣- وضرب يجوز فيه الأمران وهو (إن)، و (أى) و (متى) و (أين) و(أيان)، ومنع بعضهم فى (أيان) والصحيح الجواز لوروده كقول الشاعر:

---

(١) حاشية المحقق على كتاب سيبويه جـ ٤ ص ٢٢١.

(٢) ارتشاف الضرب لأبى حيان جـ٢ ص ٥٦٣.

فأيان ما تعدل به الريح تزل." [1]

ثم استطرد سيبويه متحدثاً عن باقى حروف النفى قائلاً:

"وتكون (إنْ) كـ (ما) فى معنى (ليس) ." [2]

فـ (إنْ) تنفى الحال نحو (ليس) و (ما).

وقال سيبويه:

"وأما (لا) فتكون كـ (ما) فى التوكيد واللغو قال الله عز وجل: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3] . أى لأن يعلم"[4].

فهو يقرر أن (لا) تقع زائدة وعبر عن هذه الزيادة بقوله توكيد ولغو.

واستشهد على قوله بآية كريمة من سورة الحديد والصحيح أنه لا زائد فى اللغة العربية ولا فى القرآن الكريم لأن النفى مقصود فى الآية لقوله تعالى ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ ونفى النفى إثبات فـ (لا) غير زائدة.

وينفى بـ (لا) المستقبل؛ قال سيبويه:

وتكون (لا) نفياً لقوله: يفعل ، ولم يقع الفعل، فتقول: لا يفعل.

وقد تغير الشئ عن حاله كما تفعل (ما) وذلك قولك: لولا، صارت (لو) فى معنى آخر كما صارت حين قلت (لو ما) تغيرت كما تغيرت حيث بـ (ما) و (إنْ) بـ (ما) .... وتكون (لا) ضداً لنعم وبلى وقد بين أحوالها أيضاً فى باب النفى"[5].

فسيبويه يرى أن (لولا) مركبة من (لو) الشرطية و (لا) النافية.

---

(١) إعراب الفعل المضارع فى ضوء منهج السالك للأشمونى ص ١٥٠.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٢.

(٣) سورة الحديد آية (٢٩).

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٢.

(٥) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٢.

قال المرادى:

"وقال صاحب رصف المبانى: ويرفع عند الكوفيين على تقدير فعل، نابت (لا) منابه. فـإذا قلت: لولا زيد لأكرمتك و﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فالمعنى: لو انعدم زيد ولـو انعدمتم. قال وهذا هو الصحيح؛ لأنه إذا زالت (لا) وَلِيَ (لو) الفعل ظاهراً أو مقدراً، وإذا دخلت (لا) كان بعدها الاسم، فهذا يدل على أن (لا) نائبة مناب الفعل. وقد اتفق الطائفتـان علـى أن (لولا) مركبة من (لو) التى هى حرف امتناع لامتناع و(لا) النافية، وكل واحدة منهما باقية علـى بابها من المعنى الموضوعة له قبل التركيب. انتهى ما ذكره."[2]

فأكد المالقى أن البصريين والكوفيين اتفقوا على أن (لولا) مركبة من (لو) و (لا) النافيـة، ويؤكد أن كلا منهما باقية على بابها من المعنى قبل التركيب. أما سيبويه فيقول: (وقد تغير الـشئ عن حاله .. صارت (لو) فى معنى آخر، ويقول سيبويه عن معنى (لو):

"وأما (لو) فلِمَا كان سيقع لوقوع غيره."[3]

ويقول ابن مالك:

"(لو) حرف شرط يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه."[4]

ويقول عن (لولا):

حرف التحضيض : (هلاّ) و (ألا)، و (لولا) و (لوما) .... وتدل أيضاً (لو) و (لوما) علـى امتناع لوجوب فيختصان بالأسماء ويقتضيان جوابا كجواب (لو) وقد يلى الفعل (لولا) غير مفهمة تحضيضاً فتؤولبـ (لو لم)"[5].

ويقول سيبويه: "ومن ذلك أيضاً (هَلاّ) فعلت، فتصير (هل) مع (لا) فى معنى آخر.

وتكون (لا) ضداً لنعم وبلى. وقد بُيِّنَ أحوالها فى باب النفى[1].

---

(١) سورة سبأ الآية (٣١).

(٢) الجنى الدانى للمرادى ص ٦٠٢.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٤٢.

(٤) شرح التسهيل لابن مالك جـ ٤ ص ٩٣.

(٥) شرح التسهيل جـ٤ ص ١١٣.

وقال أيضاً:

"وأما (أنْ) فتكون بمنزلة لام القسم فى قوله: أما والله أن لو فعلتَ لفعلتُ وقد بينا ذلك فى موضعه.

وتكون توكيداً أيضاً فى قولك: لَمَّا أنْ فَعَل، كما كانت توكيداً فى القسم، وكما كانت إنْ مع (ما).

وقد تلغى (إنْ) مع (ما) إذا كانت اسماً وكانت حينا، وقال الشاعر[٢].

ورج الفتى للخير ما إن رأيتَه على السن خيراً لا يزال يزيد[٣]"[٤]

فتكلم سيبويه عن (لا) عندما اقترنت بـ (هل) وصارت (هَلا) حرفاً للتحضيض وأكد معنى النفى فى (لا) فهى ضد (نعم) فى الإثبات، و (بلى) فى النفى.

وانتقل إلى (أَنْ) مفتوحة الهمزة ساكنة النون وأنها فى معنى لام القسم وذكر مثالا لاستعمالها فى القسم.

وتكون للتوكيد كذلك بعد (لَمَّا) الحينية.

واستشهد ببيت من الشعر لم يذكر قائله على إلغاء (إن) بعد (ما) الظرفية.

ومن الحروف الثنائية كذلك (كى) وعنها بقول سيبويه:

"وأما (كى) فجواب كقوله (كَيْمَهْ)، كما يقول : لِمَهْ ؟ فتقول: ليفعل كذا وكذا."[٥]

---

(١) ينظر الكتاب لسيبويه جـ٣ ص ١١٧.

(٢) الشاعر هو المعلوط بن بدل القريعى ينظر الخصائص جـ ١ ص ١١٠، وشرح المفصل لابن يعيش جـ ٨ ص ١٣٠ والمقرب لابن عصفور ص ١٧، والتصريح للشيخ خالد جـ١ ص ١٨٩، وهمع الهوامع للسيوطى جـ١ ص ١٢٥، ومنهج السالك للأشمونى جـ١ ص ٢٣٤، الشاهد فيه زيادة (إن) بعد (ما) الظرفية.

(٣) الشاهد فيه زيادة (إن) بعد (ما) الظرفية، والبيت من الطويل.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٢.

(٥) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٢٢.

فـ (كى) للتعليل وتكون جواباً لسؤال عن السبب.

وقال أيضاً:

"وأما (بل) فلترك شئ من الكلام وأخذ فى غيره، قال الشاعر: حيث ترك أول الحديث وهو أبو ذؤيب:

بل هل أريك حمـول الحـى غاديـة ٠٠ كالنخل زَيَّنَهـا يَنْـعٌ وإفـضاح[1]

أينع: أدرك، وأفضح: حين تدخله الحمرة والصفرة، يعنى البسر، وقال لبيد:

بل من يـرى الـبرق بـتُّ أرقبـه ٠٠ يُزجـى حَبِيًّـاً إذا خبـا ثقبـا[2]

فتكلم عن (بل) ومعناها (الاضراب) واستشهد على استعمالها ببيتين من الشعر نسبهما إلى قائليهما.

وقال عن (قد).

"وأما (قد) فجواب لقوله (لَمَّا) يفعل، فتقول: قد فَعَلَ، وزعم الخليل أن هذا الكلام لقـوم ينتظرون الخبر ... وتكون (قد) بمنزلة (ربما) .

وقال الشاعر الهذلى[3]:

قد أتـرك القِـرْنَ مُـصفرا أنامِلُـه ٠٠ كـأن أثوابـهُ مُجَّـتْ بِفرْصَـادِ[4]

كأنه قال: ربما." [5]

فوضح أن (قد) من حروف الجواب، وتستعمل للدلالة على القلة نحو (ربما) .

---

(١) البيت من البسيط.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٣، والبيت من المنسرح.

(٣) قال محقق الكتاب البيت لعبيد بن الأبرص ونسبه الشنتمرى لشماس الهذلىّ.

(٤) الشاهد فيه وقوع (قد) بمعنى ربما، والبيت من البسيط.

(٥) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

وما زال سيبويه يتكلم عن الحروف الثنائية فيقول:

"وأما (يا) فتنبيه. ألا تراها فى النداء وفى الأمر كأنك تنبه المأمور. قال الشاعر وهو الشماخ:

ألا يا اسْقِيانِى قبـــل غَـــارةِ سِـــنْجَالِ ٠٠ وقَبْلَ منايا قد حَـــضَرْنَ وآجـــالِ[1]

فتكلم عن (يا) واستعمالها فى النداء واستشهد على قوله ببيت من الشعر.

ثم تكلم عن (مِنْ) قائلا:

"وأما (مِنْ) فتكون لابتداء الغاية فى الأماكن، وذلك قولك: مِنْ مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا، وتقول إذا كتبت كتابا: من فلان إلى فلان، فهذه الأسماء سِوىَ الأماكن بمنزلتها."[2]

فـــ (مِنْ) تكون حرف ابتداء الغاية للمكان وغيره.

وتكون (مِنْ) اسما بمعنى (بعض) قال سيبويه:

"وتكون أيضاً للتبعيض تقول: هذا من الثوب، وهذا منهم، كأنك قلت: بعضُه. وقد تدخل فى موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً، ولكنها توكيد بمنزلة (ما)، إلا أنها تجر لأنها حـــرف إضافة، وذلك قولك: ما أتانى من رجل، وما رأيت من أحدٍ.

ولو أخرجت (من) كان الكلام حسناً، ولكنه أكد بمن لأن هذا موضع تبعيض، فأراد أنه لم يأته بعض الرجال والناس، وكذلك: ويحه مِنْ رجُلٍ؛ إنما أراد أن يجعل التعجب من بعض الرجـــال. وكذلك: لى مِلْؤُه من عَسَلٍ، وكذلك: هو أفضلُ من زيدٍ؛ إنما أراد أن يفـــضله علـــى بعـــض ولا يَعُمّ"[3].

ففسر (مِنْ) بمعنى (بعض)، ويجعلها زائدة بقوله: (وقد تدخل فى موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً، ولكنها توكيد بمنزلة (ما) إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة) فيجعلها حرفـــاً زائـــداً للتوكيد والصحيح أنها اسم بمعنى (بعض) وتخفض ما بعدها بالإضافة إليها وليست زائدة للتوكيد.

فقد أفادت معنى لا يكون بدونها فكيف تكون زائدة ؟

---

(١) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٤، والبيت من الطويل.

(٢) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٤.

(٣) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٥.

صحيح أن سيبويه لم يقل باسميتها ولو قال باسميتها لم يجعلها زائدة ولكنه فسرها بـبعض و (بعض) اسم فتكون (من) فى هذا الموضع اسماً.

والدليل على اسميتها وأنها غير زائدة أفادت معنى لا يكون بدونها.

فإذا قلت: (ما جاءنى من رجل) كانت (من) استغراقية ولا يجوز أن تقول بعدها بل رجلان أو غير ذلك.

ولو قلت ما جاءنى رجل بدون (من) يجوز لك أن تقول بل رجلان، أو عشرة رجال.

فقد استفدنا من قول سيبويه حين فسرها ببعض أنها اسم وليست حرفاً.

وقد تعلمنا من الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه القيم (النبأ العظيم) أن الكلمة لا تكون زائدة فالقول بالزيادة لا يليق بقدسية القرآن الكريم وإعجازه فهو مُنَزَّلٌ من حكيم حميـد فكل حرف وكل كلمة فيه وضعا بحكمة ولا يجوز لنا أن نستغنى عن كلمة منه أو حرف أو نستبدله بغيره وكذلك اللغة العربية لأننا لو سمحنا بالزيادة فى اللغة العربية لأجزنا الزيادة فى القرآن الكريم فقد نزل بلسان عربى مبين كما نص الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم على ذلك فى غير موضع من كتابه العزيز.

وأضاف سيبويه قوله:

"وجعل (زيداً) الموضع الذى ارتفع منه أو سـفل منه فى قولـك: شرٌّ من زيد، وكذلك إذا قال: أخزى الله الكاذب منى ومنْك. إلا أن هـذا، وأفضلُ منك لا يستغنى عن (من) فيهما؛ لأنهـا توصل الأمر إلى ما بعدها." (١)

ففرق بين هذا الموضع والموضع السابق بأن (من) مع اسم التفضيل لا يستغنى عنها.

ومن الحروف الثنائية (أل) التى تُعَرِّفُ الاسم.

قال سيبويه: "و (أل) تعرف الاسم فى قولك: القوم ، والرجل." (٢)

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٦.

وقال أيضاً: "وأما (مُذْ) فتكون ابتداء غاية الأيام والأحيان كما كانت (مِنْ) فيما ذكرت لك ولا تدخل واحدة منهما على صاحبتها. وذلك قولك: ما لقيته مذ يوم الجمعة إلى اليوم، ومذ غُدْوَةَ إلى الساعة، وما لقيته مُذُ اليومِ إلى ساعتك هذه، فجعلت اليومَ أول غايتك فأُجريَتْ فى بابها كما جرت (من) حيث قلت: من مكان كذا إلى مكان كذا.

وتقول: ما رأيته مُذْ يومين، فجعلتها غايةً كما قلت: أخذته من ذلك المكان فجعلته غاية ولم ترد منتهى."[1]

فـ (مُذْ) حرف من حروف الإضافة ومعناه ابتداء الغاية فى الزمان كما كانت (من) حرف ابتداء الغاية فى المكان. ولا تدخل واحدة منهما على صاحبتها لأن الحرف لا يدخل على مثله.

وعن مَعْنَى (فى) يقول سيبويه:

"وأما (فى) فهى للوعاء، تقول: هو فى الجراب، وفى الكيس، وهو فى بطن أمه، وكذلك هى فى الغُلِّ؛ لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له، وكذلك: هو فى القبة وفى الدار، وإن اتسعت فى الكلام فهى على هذا، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشئ وليس مثله."[2]

فمعنى (فى) الظرفية.

وقال عن (عن):

"وأما (عن) فَلِمَا عدا الشئ، وذلك قولك: أطعمه عن جوعٍ، جعل الجوع منصرفاً تاركاً له قد جاوزه، وقال: قد سقاه عن العيمة – العيمة: شهوة اللبن. قال أبو عمرو: سمعت أبا زيد يقول: رميت عن القوس، وناسٌ يقولون: رميت عليها وأنشد:

أرمى عليها وهى فَرْعٌ أجمع ... وهى ثلاثُ أَذْرعٍ وإِصبع[3]

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٦.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٦.

(٣) الرجز لحميد الأرقط ينظر الخصائص جـ٢ ص ٣٠٧ والبيت من الرجز.

وكساه عن العرى، جعلهما قد تراخيا عنه. ورميت عن القوس؛ لأنه بها قذف سهمه عنها وعداها. وتقول: جلس عن يمينه، فجعله متراخياً عن بدنه وجعله فى المكان الذى بحيال يمينه، وتقول: أضربت عنه، وأعرضت عنه، وانصرف عنه، إنما تريد أنه تراخى عنه وجاوزه إلى غيره، وتقول: أخذت عنه حديثاً: أى عدا منه إلىَّ حديثٌ. "(١)

فـ (عن) اسم ظرف معناه المجاوزة ويصرح سيبويه باسميتها فى قوله:

"وأما (عن) فاسم إذا قلت: من عن يمينك؛ لأن (من) لا تعمل إلا فى الأسماء." (٢)

وقد حققت فى غير هذا الكتاب اسمية (عن) فى جميع مواضعها. (٣)

فاستدل على اسميتها بدخول حرف الخفض (من) عليها، والكلمة إذا قبلت علامة من علامات الأسماء كانت اسما فى جميع مواضعها.

ومن الأسماء الثنائية (علِ) وعنها يقول سيبويه:

"و(عَلِ) معناها الإتيان من فوق ، وقال امرؤ القيس

كجلمود صخر حطه السيل من عَلِ (٤)

وقال جرير:

حتى اختطفتك يا فرزدق من عَلِ (٥)" (٦)

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٨.

(٣) (عن) فى اللغة العربية والقرآن الكريم، إعداد د/ هدى محمد متولى السداوى.

(٤) وصدره: مكَرٍّ مفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً. والشاهد من معلقة امرئ القيس. ينظر المقرب لابن عصفور ص ٤٦، وشرح المفصل لابن يعيش جـ٤ ص ٨٩، وشذور الذهب لابن هشام ص ١٠٧، وهمع الهوامع جـ١ ص ١٢٠. والبيت من الطويل.

(٥) وصدره : إنى انصببت من السماء عليكم، والشاهد فيهما استعمال (عل) بمعنى (فوق). والبيت من الكامل.

(٦) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

قال ابن منظور:

"وأخذه من عَلِ ومن عَلُ؛ قال سيبويه: حركوه كما حركوا (أَوَّلُ) حين قالوا: ابـدأ بهـذا أول، وقالوا: من علا وعَلْوُ ومن عالٍ ومُعالٍ ... وقيل: رمى به من عَلِ الجبل: أى من فوقـه ... وقولهم: جئت من عَلُ أى من أعلى كذا. قال ابن السكيت: يقال: أتيته من عَلُ بضم اللام."(١)

فابن منظور يستشهد بقول سيبويه على قولهم (علِ) بكسر اللام و(علُ) بضمها وأضاف ابن منظور:

"واتيته من عَلُو: بضم اللام وسكون الواو، وأتيته من عَلِى؛ بياء ساكنة، وأتيته مـن عَلْـوُ بسكون اللام وضم الواو، ومن عَلْوَ ومن عَلْوِ، قال الجوهرى: ويقال: أتيته من عَلِ الدار بكسر اللام، أى من عالٍ قال امرؤ القيس:

مكـر مفـر مقبـل مـدبر معـاً ٠٠ كجلمود صخر حطه السيل من عَـلِ(٢)

وقال ابن هشام:

"(عَلُ) بلام خفيفة اسم بمعنى فوق، التزموا فيه أمرين:

أحدهما: استعماله مجروراً بمن.

والثانى: استعماله غير مضاف فلا يقال: أخذته من عَلِ السطح، كما يقال: (من عَلْوِه، ومن فوقـه)

وقد وهم فى هذا جماعة منهم الجوهرى وابن مالك وأما قوله:

يـا رُبَّ يَـومٍ لى لا أُظَلَّلُـهْ ٠٠ أرْمَضُ من تحتُ وأضحى مِـنْ عَلُـهْ(٣)

فالهاء للسكت بدليل أنه مبنى، ولا وجه لبنائه لو كان مضافاً.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (علا).

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (علا)، والبيت من الطويل.

(٣) والبيت من بحر الرجز.

ومتى أريد به المعرفة كان مبنياً على الضم تشبيهاً له بالغايات كما فى هذا البيت، إذ المراد فوقية نفسه لا فوقية مطلقة، والمعنى: أنه تصيبه الرمضاء من تحته، وحر الشمس من فوقه، ومثله قول الآخر يصف فرساً:

أقب من تحت عريض من عَلُ

ومتى أريد النكرة كان معرباً كقوله:

مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عَلِ

إذ المراد تشبيه الفرس فى سرعته بجلمود انحط من مكان ما عالٍ، لا من علوٍ مخصوص."[1]

وقال سيبويه عن الأسماء المبنية الثنائية:

"فمن الأسماء: (ذا وذه) ، ومعناهما أنك بحضرتهما، وهما اسمان مبهمان..... و(أنا) وهى علامة المضمر، وكذلك (هو وهى).

و(كَمْ) وهى للمسألة عن العدد.

و (مَنْ) وهى للمسألة عن الأناسِيِّ، ويكون بها الجزاء للأناسِيّ، ويكون بمنزلة (الذى) للأناسى وقد بين جميع ذلك فى موضعه.

و (ما) مثلها إلا أن (ما) مبهمة تقع على كل شئ."[2]

فذكر من الأسماء المبنية أسماء الإشارة للمذكر المفرد والمؤنثة المفردة ومن الضمائر (أنا) ، و(هو وهى) للغائب والغائبة.

ومن أسماء الاستفهام (كم) للعدد، و(من) للعاقل، وتكون للجزاء أيضاً و(ما) وبين عموم (ما) فهى مبهمة تقع للعالم وغيره.

---

(١) المغنى لابن هشام جـ ١ ص ١٥٤.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٢٨.

وأضاف سيبويه:

"و (أنْ) بمنزلة (الذى)، تكون مع الصلة بمنزلة (الذى) مع صلتها اسماً فيصير (يريد أن يفعل) بمنزلة (يريد الفعل)، كما أن (الذى ضرب) بمنزلة الضارب، وقد بينت فى بابها."(١)

فتكلم عن (أن) بمنزلة الاسم الموصول (الذى) فى احتياجهما إلى الصلة فأن يفعل أى الفعل كما أن (الذى ضرب) بمنزلة (الضارب) .

وقال أيضاً:

" (وقط): معناها الاكتفاء، و (مع) وهى للصحبة، و (مذ) فيمن رفع بمنزلة (إذ وحيـــث)، ومعناها إذا رفعت قد بين فيما مضى بقول الخليل.

..... و(إذ) وهى لما مضى من الدهر وهى ظرف بمنزلة (مع)." (٢)

ومن الأسماء المبنية أسماء الأصوات وأسماء الأفعال فمما جاء على حرفين منها:

يقول عنه سيبويه:

"وأما ما هو فى موضع الفعل فقولك: مه وصه، و(حَلْ) للناقة، و(سا) للحمار وما مثل ذلك فى الكلام على نحوه فى الأسماء إلا أنا تركنا ذكره؛ لأنه إنما هو أمر ونهى يعنى: هَلُـــمَّ وإيـــهٍ ، ولا يختلف اختلاف الأسماء فى المعانى."(٣)

وختم كلامه عن الثنائى من الأسماء بقوله:

"كما كثرت الأسماء فى الحرفين حيث ضارعت ما قبلها من غير الأسماء." (٤)

---

(١) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٨.

(٢) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٨.

(٣) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٨.

(٤) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٩.

وبالموازنة بين ما ذكره الخليل من حروف ثنائية وبين ما ذكره سيبويه يتبين لنا شمول نـــص سيبويه حيث ذكر الأسماء المبنية ووضح معانيها واستعمالها عند العرب بأمثلة وافية وكان يذكر فى بعض الكلمات رأى الخليل كما فى قوله عن (قد) حيث قال:

(وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر)[1] وكلامه عن (مذ) الرافعة لما بعدها[2].

أما الخليل فقد أوجز فى الكلام عن هذه الأمثلة اكتفاءً ما نقله عنه سيبويه، لأن الخليل كان يكتب مقدمة ومدخلا لأول معجم عربى أما الكتاب لسيبويه فهو يجمع أساليب اللغة حروفاً وأسماءً وأفعالاً مبنية ومعربة لذا نجده يفصل ويستوعب كلام العرب ويستشهد على قوله بأبيات من الشعر ينسبها لقائليها غالباً، وأمثلة من كلامهم، وبعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم.

(١) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٣.

(٢) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٢٢٨.

مسألة (الثلاثى من الأفعال والأسماء)

قال الخليل بن أحمد: "والثلاثى من الأفعال نحو قولك: ضرب ، خرج، دخل، مبنى على ثلاثة أحرف، ومن الأسماء نحو: عُمَرَ وجَمَلٍ وشَجَرٍ مبنى على ثلاثة أحرف."(١)

أما سيبويه فيقول:

"وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام فى كل شئ من الأسماء والأفعال وغيرهما مزيداً فيه وغير مزيد فيه، وذلك لأنه كأنه هو الأول فمن ثم تمكن فى الكلام، ثم ما كان على أربعة بعد ثم بنات الخمسة وهى أقل لا تكون فى الفعل البتة ..." (٢).

فسيبويه يقرر أن الثلاثى من الأسماء والأفعال هو أكثر الكلام ويليه ما كان على أربعة، ثم بنات الخمسة وهى أقل ولا يكون فعل مجرد على خمسة أحرف.

ثم استطرد قائلاً:

وسأكتب لك من معانى ما عِدَّةُ حُرُوفِه ثلاثة فصاعداً نحو ما كتبت من معانى الحرف والحرفين إن شاء الله.

أما (على) فاستعلاء الشئ تقول: هذا على ظهر الجبل، وهى على رأسه ... وهو اسم لا يكون إلا ظرفاً، ويدلك على أنه اسم قول بعض العرب: نُهض من عليه."(٣)

فوضح معنى (على) وقرر اسميتها، واستعمالها ظرفاً واستدل على اسميتها بدخول حرف الخفض (من) عليها.

قال المرادى:

"وقد تحصل فى (على) الجارة مما ذكرته أقوال:

أحدها: أنها حرف فى كل موضع وهو قول الفراء.

---

(١) كتاب العين جـ١ ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٠.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٠ - ٢٣١.

والثانى: أنها اسم فى كل موضع وهو قول ابن طاهر ومن وافقه.
والثالث: أنها حرف إلا فى موضع واحد.
والرابع: أنها حرف إلا فى موضعين وبه جزم ابن عصفور وهو قول الأخفش." (١)

فنسب إلى الفراء القول بحرفيتها مطلقا

ونسب إلى ابن طاهر القول باسميتها مطلقا ومن تابعه وهم:

ابن خروف وابن الطراوة والزبيدى وابن معزوز والشلوبين فى احد قوليه إلى أنها اسم ولا تكون حرفا وزعموا أن ذلك مذهب سيبويه وهو الصحيح حيث قال سيبويه: "وهى اسم لا يكون إلا ظرفاً).

وقال أيضاً:

"وأما الحروف التى تكون ظروفا فنحو: خلف وأمام، وقدام ووراء، وفوق وتحت، وعند وقبل، ومع وعلى؛ لأنك تقول: من عليك كما تقول: من فوقك، وذهب من معه." (٢)

فسيبويه عدد الكلمات التى هى ظروف ومنها (على) واستدل على اسميتها بدخول (من) عليها ويقصد بالحروف فى هذا النص الكلمات والكلمة إذا قبلت علامة من علامات الأسماء تكون اسماً فى جميع مواضعها وقال سيبويه بحرفية (على):

"ومثل ذلك قول المتلمِّس(٣):

أليت حَبَّ العراق الدهر أطعمه ... والحب يأكله فى القرية السوس(٤)

يريد : على حب العراق." (١)

---

(١) الجنى الدانى للمرادى ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ١ ص ٤٢٠.

(٣) المتلمس هو جرير بن عبد المسيح الضبيعى نسبة إلى أهله بنى ضبيع ولد فى البحرين وعاش بالشام وهو خال طرفة بن العبد - ينظر طبقات فحول الشعراء ص ١٥٥، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ٢١ ص ١٢٠.

(٤) البيت من البسيط والشاخد فيه حذف حرف الخفض (على).

وأضاف قوله:

"وأما (إلى) فمنتهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا وكذلك (حتى) وقد بين أمرها فى بابها، ولها فى الفعل نحوٌ ليس لإلى، ويقول الرجل: إنما أنا إليك أى إنما أنت غايتى، ولا تكون (حتى) ههنا. فهذا أمر (إلى) وإن اتسعت، وهى أعم فى الكلام من (حتى)؛ تقول: قمت إليه، فجعلته منتهاك من مكانك ولا تقول: حتاه."(٢)

فوضح معنى (إلى) وهى انتهاء الغاية، ووضح الفرق بينها وبين حتى فى الاستعمال فـ (حتى) تستعمل مع الفعل مباشرة ولا يكون ذلك فى (إلى) فنقول: إلى أن يفعل. و(إلى) أعم فى الكلام من (حتى).

وقد وضح المرادى الفرق بين (حتى) و (إلى) بقوله: "فإن قلت : (حتى) و (إلى) كلاهما لانتهاء الغاية، فهل بينهما فرق؟

قلت: بينهما فروق:

الأول: أن مجرور (إلى) يكون ظاهراً وضميراً، بخلاف (حتى) فإن مجرورها لا يكون ضميراً.

الثانى: أن مجرور (إلى) لا يلزم كونه آخر جزء أو ملاقى آخر جزء تقول: أكلت السمكة إلى نصفها. بخلاف (حتى).

الثالث: أن أكثر المحققين على أن (إلى) لا يدخل ما بعدها فيما قبلها بخلاف (حتى)." (٣)

وعن اسمية (إلى) يقول المرادى:

"وزاد ابن عصفور أن (عن) تكون اسماً .....

قال الشيخ أبو حيان: وفيه نظر لأن مثل هذا التركيب قد وجد فى (إلى) كقوله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾(٤)

---

(١) الكتاب لسيبويه فى (هذا باب الفاعل) جـ١ ص ٣٨.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣١.

(٣) الجنى الدانى للمرادى ص٥٤٦.

(٤) سورة القصص آية (٣٢).

و ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ [1]

ولا تعلم أحداً قال باسمية (إلى).

قلت: قال ابن عصفور فى (شرح أبيات الإيضاح).

حكى أبو بكر الأنبارى أن (إلى) تستعمل اسما، يقال:

انصرفت من إليك كما يقال: غدوت من عليك"[2].

وقال سيبويه أيضاً:

"وأما (حسب) فمعناه كمعنى (قط).

وأما (غير وسوى) فبدل ،و (كلٌّ) عَمٌّ و(بعض) اختصاص؛ و (مثل) تسوية."[3]

فوضح معنى هذه الأسماء بإيجاز رائع؛ حيث ذكر عموم (كل) وخصوصية (بعض) والتسوية فى (مثل).

فنجد أن سيبويه بدأ بالكلام عن الأسماء ومثل لها ببعض الأسماء المبنية من الظروف نحو (على) و (إلى)، وبعض الأسماء المعربة نحو (غير وسوى)، و (كل وبعض ومثل).

ويستطرد سيبويه قائلاً:

"وأما (بله) زيدٍ، فيقول: دع زيداً وبَلْهَ ههنا بمنزلة المصدر كما تقول: ضَرْبَ زَيْدٍ، و (عند) لحضور الشئ ودنوه.

وأما (قِبَلَ) فهو لما ولى الشئ. يقول: ذهب قِبلَ السوق، أى نحو السوق ولِيَ قِبَلَك مالٌ: أى فيما يَليك، ولكنه اتسع حتى أجرى مجرى (على) إذا قلت: لى عليك."[4]

فتكلم عن (بله) وجعله بمنزلة المصدر بمعنى (ترك).

و (عند) من الظروف وكذلك قِبَلَ.

---

(١) سورة مريم آية (٢٥).

(٢) الجنى الدانى للمرادى ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣١.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٢.

وأضاف قوله:

"وأما (نَوْلٌ) فتقول: نَوْلُك أن تفعل كذا وكذا أى ينبغى لك فعل كذا وكذا، وأصله مـــن التناول كأنه يقول: تناولك كذا وكذا، وإذا قال: لا نَوْلُك؛ فكأنه يقول: أقصر ولكنه صـــار فيـــه معنى ينبغى لك."[1]

وقد اعتمد ابن منظور[2] على نص سيبويه فى توضيح معناها.

وقال سيبويه أيضاً:

"وأما (إذا) فلما يستقبل من الدهر، وفيها مجازاة، وهى ظرف، وتكون للشئ توافقه فى حال أنت فيها وذلك قولك: مررت فإذا زيد قائمٌ.

وتكون (إذ) مثلها أيضاً، ولا يليها إلا الفعل الواجب؛ وذلك قولك: بينما أنا كذلك إذ جاء زيد، وقصدت قصده إذ انتفخ علىّ فلانٌ، فهذا لما توافقه وتهجُمُ عليه من حالٍ أنت فيها .... وأما (قَبْلُ) فللأول، و (بعْدُ) للآخر، وهما اسمان يكونان ظرفين."[3]

فنص على بعض الظروف ومنها (إذا، وقبل، وبعد) فوضح أن (إذا) تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان، وتكون أداة شرط، وتدل على المفاجـــأة. و (قبل وبعد) كذلك ظرفان.

ثم قال: "و (كيف): على أى حال ؟ ، و (أين): أى مكان؟ ، و (متى) أى حـــين ؟ وأمـــا (حيث) فمكان بمنزلة قولك: هو فى المكان الذى فيه زيد. وهذه الأسماء تكون ظروفاً."[4]

فوضح أن هذه الأسماء للاستفهام يستفهم بكيف عن الحال وبأين عن المكان وبمـــتى عـــن الزمان، و (حيث) ظرف للمكان كأين، و (متى) ظرف للزمان.

ومن الظروف أيضاً ما نص عليه سيبويه بقوله:

---

(١) الكتاب لسيبويه جـــ ٤ ص ٢٣٢.

(٢) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (ن و ل).

(٣) الكتاب لسيبويه جـــ ٤ ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٤) الكتاب لسيبويه جـــ ٤ ص ٢٣٣.

"وأما (خَلْفُ) فمؤخر الشئ و (أمامُ) مقدمه، و (قُدَّامُ) بمنزلة أمام (وفوق) أعلى الشئ، وقالوا: فوقك فى العلم والعقل على نحو المثل وهذه الأسماء تكون ظروفاً"(١).

فوضح معانى بعض الظروف وما يجوز فيها من الضم والفتح، و(فوق) وهو أعلى الشئ حساً ومعنى.

ومن الظروف أيضاً الثلاثية التى ذكرها سيبويه:

"وأما (لَدُنْ) فالموضع الذى هو أول الغاية وهو اسم يكون ظرفاً يدلك على أنه اسم قولهم: من لَدُنْ، وقد يحذف بعض العرب النون حتى يصير على حرفين قال الراجز غيلان. (٢)

يستوعب البَوْغَيْنِ من جرِيرِه ... من لَدُ لحييه إلى منحورِهِ(٣)

و (لدى) بمنزلة عند:

وأما (دونُ) فتقصيرٌ عن الغاية وهو يكون ظرفاً.

واعلم أن ما يكون ظرفاً بعضه أشد تمكناً فى الأسماء من بعض ومنه ما لا يكون إلا ظرفاً، وقد بين ذلك فى موضعه"(٤).

"وأما (قُبالةُ) فمواجهة ..... و (قبالة) اسم يكون ظرفا."(٥)

وقال أيضاً: وأما (بلى) فتوجب به بعد النفى، وأما (نَعَمْ) فَعِدةٌ وتصديق تقول: قد كان كذا وكذا، فيقول: نعم وليسا اسمين، وقبالة اسم يكون ظرفاً، فإذا استفهمت فقلت: أتفعلُ؟ أجبت بنعم فإذا قلت: ألست تفعل؟ قال: بلى، يجريان مجراهما قبل أن تجئ الألف."(٦)

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٣.

(٢) هو غيلان بن حريث الربعى ينظر شرح المفصل لابن يعيش جـ٢ ص ١٢٧، وشرح شواهد الشافية ص١٦٣.

(٣) والشاهد فيه حذف نون (لدن) مع نيتها فلذلك بقيت الدال على حركتها. والبيت من الرجز.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٣٤.

(٥) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٤.

(٦) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٤.

فتكلم عن (قبالة) وهى اسم ظرف تعدى الحروف الثلاثة.

أما (بلى ونعم) فحرفان من حروف الجواب ووضح كيفية استعمالهما فى الإيجاب والنفى.

وعلق محقق الكتاب الدكتور عبد السلام هارون على نص سيبويه بقوله:

"الملحوظ هنا أن سيبويه لم يفرق بين (قبالة) و (بلى ونعم) فى الكلام عليهما جميعاً فبدأ بـــ (قبالة) ثم ثنى ببلى ونعم؛ ثم عاد إلى قبالة ثم رجع إلى بلى ونعم وقال السيرافى تعليقاً علـــى هـــذا الموضع: "أما بلى فلا تأتى إلا بعد جحد فتبطله سواء كان الجحد معه حرف استفهام أو لم يكـــن، وسواء كان بمعنى التقرير أو بمعنى الاستفهام.

متى وردت (بلى) حققت ذلك الشئ الذى وقع عليه الجحد .... فإذا قلت: لم يقم زيد؟ أو : ألم يقم ؟ فقلت: بلى، فقد قلت: إنه قام، وأما (نعم) فهو تصديق للكلام على ما يورده المتكلم من جحد وإيجاب."[1]

وذكر بعض الحروف غير الثلاثية نحو (لكن) ، حيث قال:

"وأما (لكنْ) خفيفة وثقيلة فتوجب بها بعد نفى."[2]

"وأما: سوف فتنفيسٌ فيما لم يكن بعد ألا تراه يقول: سَوْفته."[3]

فلكن وسوف حرفان (لكن) للاستدراك، وسوف للتنفيس.

ثم قال أيضاً:

"و (لَيْسَ) نفى. و (أىٌّ) مسألة ليبين لك بعض الشئ وهى تجرى مجرى (ما) فى كل شـــئ و (مَنْ) مثل (أىٌّ) أيضاً إلا أنه للناس.

و (إنَّ) توكيد لقوله: زيد منطلق، وإذا خففت فهى كذلك توكد به ما يتكلم به، ولِيُثْبِـــت الكلام ، غير أن لام التوكيد تلزمها عوضاً مما ذهب منها.

---

(١) حاشية المحقق على كتاب سيبويه جـــ ٤ ص ٢٣٤.

(٢) الكتاب لسيبويه جـــ ٤ ص ٢٣٢.

(٣) الكتاب لسيبويه جـــ ٤ ص ٢٣٣.

و (لَيْتَ) تَمَنٍ، و (لعل وعسى) طمع وإشفاق"[1].

فذكر من الأفعال الناقصة (ليس) وهى كلمة ثلاثية ومعناها النفى.

و (أى) للاستفهام وهى عامة كـ (ما) لأنها على حسب ما تضاف إليه للعاقل وغير العاقل، والزمان والمكان.

و (مَنْ) مثل (أى) إلا أنها تستعمل للعالم. وهى تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ومن الحروف الثلاثية (ليت) ومعناها التمنى، و(لعلَّ) حرف رباعى معناه الرجاء أما (عسى) فهى فعل جامد ماض وقد جمع بين لعل وعسى لاشتراكهما فى إفادة الطمع فى المحبوب والإشفاق من المكروه.

وقال سيبويه أيضاً:

"وأما (بَجَل) فمبزلة حَسْبُ، وأما (إذَنْ) فجواب وجزاء.

وأما (لَمَّا) فهى للأمر الذى قد وقع لوقوع غيره وإنما تجئ بمنزلة (لو) لما ذكرنا؛ فإنما هى لابتداء وجوابٍ.

وكذلك: (لوما، ولولا) فهما لابتداء وجواب فالأول سبب ما وقع وما لم يقع.

وأما (مهما) ففيها معنى الجزاء. كأنه يقول: عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبداً."[2]

و "أما (ألا) فتنبيه، تقول: ألا إنه ذاهب. ألا: بلى."[3]

ففسر (ألا) بـ (بلى).

"وأما (كلاَّ) فردع وزجر، و (أنَّى) تكون فى معنى كيف وأين."[4]

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٣.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٥.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٣٥.

وعلل لجمعه بين الثلاثى وغيره بقوله:

"وإنما كتبنا من الثلاثة وما جاوزها غير المتمكن الكثير الاستعمال من الأسماء وغيرها الـــذى تكلم به العامة لأنه أشد تفسيراً، وكذلك الواضح عند كل أحد هو أشد تفسيراً؛ لأنه يوضح بـــه الأشياء، فكأنه تفسير التفسير. ألا ترى أنْ لو أنَّ إنساناً قال: ما معنى (أيان)؟ فقلت: متى، كنت قد أوضحت . وإذا قال: ما معنى متى؟ قلت فى أى زمان فسألك عن الواضح، شق عليك أن تجئ بما توضح به الواضح.

وإنما كتبنا من الثلاثة على نحو: الحرف والحرفين، وفيه الإشكال والنظر."[1]

فسيبويه يعلل لذكره للثلاثى وغيره من هذه الأسماء المبنية والظـــروف والأدوات لكثـــرة استعمالها فى كلامهم وأن بعضها أوضح من بعض فى المعنى وضرب مثلا بـــ (أيان) وأنها بمعنى (متى) و (متى) للدلالة على الزمان فكما تكلم عن الأحادى والثنائى تكلم عن الثلاثى وما جاوز الثلاثـــة نحو (لكنَّ)، و (لعلّ) ، و (كلاَّ) وغيرها.

(١) الكتاب لسيبويه جـــ ٤ ص ٢٣٥.

تعليل الخليل وسيبويه لمجئ الأسماء على ثلاثة أحرف

قال الخليل معللا لذلك:

"الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف، حرف يبتدأ به وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف مثل: سعد وعمر ونحوها من الأسماء، بدئ بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء."(١)

فالخليل يقرر أن الاسم لا يكون على أقل من ثلاثة أحرف ومثل لقوله باسمين وضح أحدهما معللاً لكونه على ثلاثة أحرف حيث بدئ بحرف وحشيت الكلمة بالحرف الثانى ووقف على الحرف الثالث والأخير.

وعلل سيبويه لذلك بقوله:

"واعلم أنه لا يكون اسم مظهر على حرف أبداً؛ لأن المظهر يسكت عنده وليس قبله شئ، ولا يلحق به شئ ولا يوصل إلى ذلك بحرف، ولم يكونوا ليجحفوا بالاسم فيجعلوه بمنزلة ما ليس باسم ولا فعل وإنما يجئ لمعنى."(٢)

فسيبويه يتبع الخليل فى قوله وتعليله لكون الأسماء لا تكون على أقل من ثلاثة أحرف وإن لم يصرح بذلك وإنما فهم ضمناً من نصه.

ويضيف الخليل إلى ما سبق قوله:

"فإن صَيَّرْت الثنائى مثل: (قَدْ)، و (هَلْ)، و(لو) اسماً أدخَلْتَ عليه التشديد فقلتَ: هذه (لوٌّ) مكتوبة، وهذه (قدٌّ) حسنة الكتبة، زدت واواً على واو، ودالاً على دالٍ، ثم أدغمت وشدَّدت فالتشديد علامة الإدغام والحرف الثالث كقول أبى زبيد الطائى(٣).

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد جـ١ ص ٥٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٨.

(٣) فى نسخ العين الأخرى (ابن زيد، وأبو زيد). والبيت من بحر الخفيف.

ليـت شـعرى وأيـن مـنى ليـت ... إن ليتـاً وإن لـوّاً عنـاء

فشدد (لوّاً) حين جعله اسما"[1].

فهو ينص على أن الحروف الثنائية إذا سميت بها شددت الحرف الثانى حتى يـصير ثلاثيـاً، واستشهد ببيت من الشعر شددت فيها (لو) عند استعمالها اسماً.

وفى ذلك يقول سيبويه:

"والاسم أبدأ له من القوة ما ليس لغيره. ألا ترى أنك لو جعلت (فى) و (لو) ونحوها اسمـاً ثقلت، وإنما فعلوا ذلك بعلامة الإضمار حيث كانت لا تصرف ولا تذكر إلا فيما قبلها"[2].

فسيبويه يتبع الخليل فى أن الاسم لا يكون على أقل من ثلاثة أحرف، وضرب مثلا بـ (فى) و (لو) من الحروف وتثقيلهما عند استعمالهما اسمين، أما الأسماء المضمرة المبنية فتكون على حـرف واحد؛ لأنها لا تتصرف، وتلحق بغيرها من الأفعال وهى إضافة من سيبويه يفرق بها بـين الاسـم المظهر المعرب، والضمير المتصل المبنى.

(١) كتاب العين جـ١ ص ٥٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢١٨.

المزيد من الأسماء

قال الخليل:

"وليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف فى فعل واسم فاعلم أنها زائدة على البناء، وليست من أصل الكلمة مثل: قَرَعْبَلانَة، إنما أصل بنائها قَرَعْبَل، ومثل (عنكبوت) إنما أصل بنائها (عنكب)"(١).

فالخليل يقرر أن العرب ليس لها بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف فما زاد عن ذلك فهو زائد، ومثل لقوله بـ (قَرَعْبَلانَة) ووضح أصلها، وعنكبوت وأصله (عنكب).

أما سيبويه فيقول:

"فما يبين لك أن التاء فيه زائدة (التَّنْضُب)؛ لأنه ليس فى الكلام على مثال جعفُر، وكذلك التنفُل والتنفَل؛ لأنهم قد قالوا: التنفُل، وليس فى الكلام على مثال جعفُر ... وكذلك جبروت وملكوت؛ لأنهما من الملك والجبرية وكذلك (عفريت)؛ لأنها من العفر، وكذلك: عزويت؛ لأنه ليس فى الكلام فعويل .... والعنكبوت والتخربوت؛ لأنهم قالوا: عناكب ... وكذلك تاء تخربوت؛ لأنهم قالوا: تخارب" (٢).

فسيبويه يتبع الخيل فى القول بزيادة التاء فى جبروت وملكوت لأنهما من الملك والجبرية وأضاف عفريت وعزويت وعلل لزيادة التاء فيهما.

وتبع ابن جنى الخليل فى ذكره لقرعبلانة حيث قال:

"وقَرَعْبَلانة كأنها قَرَعْبَل، ولا اعتداد بالألف والنون وما بعدهما" (٣).

---

(١) كتاب العين للخليل جـ١ ص ٥٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣١٦.

(٣) الخصائص لابن جنى جـ٣ ص ٢٠٨.

وقال أبو حيان:

"وفعللانة: قَرَعْبلانة [1] قيل ولم تسمع إلا من كتاب العين فلا يلتفت إليها" [2].

وعن الأسماء المزيدة يقول سيبويه:

"ومما جعلته زائداً بثبت: العَنْسَل[3]؛ لأنهم يريدون: العَسُول، والعَنْبَس؛ لأنهم يريدون العَبُوس. ونون (عفرنى) ؛ لأنهما من العفر، يقال للأسد: عفرنى. ونون (بُلَهْنِيَة) [4]؛ لأن الحرف من الثلاثة كما تقول: عيش أبله، ونون (فرسن) لأنها من فَرَسْتُ ونون (خنفقيق) لأن الخنفقيق الخفيفة من النساء الجريئة، وإنما جعلتها من خَفَق يَخفقُ كما تخفق الريح، يقال: داهية خَنفقيق فإما أن تكون من (خَفَق إليهم) أى أسرع إليهم، وإما أن تكون من الخَفق، أى يعلوهم ويهلكهم" [5].

فسيبويه يذكر أمثلة من الأسماء المزيدة ويعين حروف الزيادة ويستدل عليه بذكره لأصل الكلمة، ويوضح معنى الكلمات.

وأضاف سيبويه:

"ومن ذلك: البلنصى؛ لأنك تقول للواحد البلصوص[6].

ومثل ذلك نون (عقنقل) و (عصنصر)؛ لأنك تقول: عقاقيل، وتقول للعصنصر: عُصيصير، ولو لم يوجد هذان لكان زائداً؛ لأن النون إذا كانت فى هذا الموضع كانت زائدة ..

والنون من (جُنْدَب) و (عُنْصَلٍ[7] وعُنْظَبٍ[8]) زائدة لأنه لا يجئ على مثال (فُعْلَلٍ) شئ إلا وحرف الزيادة لازم له، وأكثر ذلك النون ثابتة فيه"[9].

---

(١) قَرَعْبلانة: دويبة عريضة.

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان جـ١ ص ٦٨.

(٣) العَنْسَل: الناقة السريعة.

(٤) قال ابن منظور : والبلهنية: الرخاء وسعة العيش صارت الألف ياء لكسرة ما قبلها، والنون زائدة عند سيبويه، وعيش أبله: واسع قليل الغموم. لسان العرب مادة (بله).

(٥) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٠.

(٦) البلصوص: طائر.

(٧) العُنْصَل: البصل البرى.

(٨) العُنْظَبِ : ذكر الجراد.

(٩) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٠.

فهو يذكر الأمثلة ويستدل على الحرف الزائد فيها مرة بتكسير الكلمة نحـو (عقاقيـل) أو تصغيرها نحو قوله (عصيصير).

أو مجيئه على خلاف أمثلتهم كنون (جندب وعنصل) لأنه ليس فى كلامهم (فُعْلَل) مجـرداً، والنون الساكنة أكثر ما تزاد ثانية أو ثالثة ساكنة.

وعن زيادتها ثانية يقول سيبويه:

"وأما (جُنْدَبٌ) فالنون زائدة؛ لأنك تقول: جَدُبَ، فكان هذا بمنزلة اشتقاقك منه مالا نـون فيه، وإنما جعلت (جُنْدَباً وعُنْصَلاً وخُنْفَساً) نوناتهن زوائد؛ لأن هذا المثال يلزمه حـرف الزيـادة، فكما جعلت النونات فيما كان على مثال (احرنجم) زائدة؛ لأنه لا يكون إلا بحرف الزيادة، كذلك جعلت النون فى هذا زائدة" (١).

وعن زيادتها ثالثة يقول سيبويه:

"واعلم أن النون إذا كانت ثالثة ساكنة وكان الحرف على خمسة أحرف كانت النون زائدة، وذلك نحو: جحنفل، وشرنبث، وحبنطى، وجلنظى، ودلنظى، وسرندى وقلنسوة؛ لأن هذه النـون فى موضع الزوائد وذلك نحو: ألف عذافر(٢)، و (واو) فدوكس(٣)، و(ياء) سميدع(٤)، ألا تـرى أن بنات الخمسة قليلة، وما كان على خمسة أحرف وفيه النون الساكنة ثالثة يكثر ككثـرة عـذافر، وسرومط(٥) وسميدع، فهذا يقول أنه من بنات الأربعة" (٦).

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢١.

(٢) العذافر: الشديد الصلب من الإبل. (٣) فدوكس: الأسد.

(٤) سميدع: السيد الموطأ الأكناف. (٤) السرومط: الطويل.

(٦) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٢.

فسيبويه يقرر أن النون تكون زائدة إذا وقعت ثالثة ساكنة فى بنات الخمسة ومثل لزيادتها بعدة أمثلة وإنما حكم بزيادة النون لوقوعها فى موضع الزوائد نحو الألف فى عذافر، والواو فى (فدوكس)، والياء فى سميدع.

ويؤكد زيادتها فى الأمثلة السابقة بقوله:

"فما اشتق مما هى فيه فذهب: القلنسوةَ، وقالوا: تقلسيت، وقالوا: الجعنظار[1] وقالوا: الجَحْظَرىُّ والجعيظير. والسرندى وهو الجرئ وإنما هو من السرد؛ لأنه يمضى قدما، و (الدلنظَى) وهو الغليظ كما قالوا: دلظه بمنكبه، وإنما هو غلظ الجانب. والجحنفل: العظيم، ويقال: جمع جَحْفَلٌ" [2].

وعن زيادتها ثانية يقول سيبويه:

"فأما إذا كانت ثانية ساكنة فإنها لا تزاد إلا بثبت، وذلك : حِنْزَقْرٌ(٨)، وحِنْبَتْرٌ لقلة الأسماء من هذا النحو؛ لأنك لا تجد أمهات الزوائد فى هذا الموضع.

وكذلك (عندليب)؛ لأنه لم يكثر فى الأسماء هذا المثال، ولأن أمهات الزوائد لا تقع ثانية فى هذا المثال.

وإذا كان الحرف ثانياً متحركاً أو ثالثاً فلا يزاد إلا بثبت، كما لم يزدْ وهو ثان ساكناً إلا بثبت وذلك جَنَعْدَلٌ، وخَدَرْنَقٌ لقلتها فى الكلام، ولقلة مواقع الزوائد فى مواضعها" [3].

فمثل بالنون الثانية الساكنة الزائدة بعدة أمثلة منها حنزقر، وحنبتر، وعندليب فإذا كان متحركاً فلا تزاد إلا بثبت ومثل لزيادتها ثانية متحركة بجنعدل، وخدرنق.و(جنعدل) البعير القوى الضخم، والخدرنق: ذكر العناكب.

---

(١) الجعنظر: القصير الرجلين الغليظ الجسم.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٣. (٨) الحزقر: القصير الدميم من الناس

(٣) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

ويقول سيبويه أيضاً:

"وأما (كَنَهْبَل) فالنون زائدة؛ لأنه ليس فى الكلام على مثال (سَفَرْجُل) فهذا بمنزلة ما يشتق مما ليس فيه نون (فكَنَهْبَل) بمنزلة (عَرَنْتن) بنوه بناءه حين زادوا النون، ولو كانت من نفس الحرف لم يفعلوا ذلك.

والعَرَنْتن قد تبينت بعَرَتُنٍ والبناء، و (قَرَنفُلٌ) مثله؛ لأنه ليس فى الكلام مثل (سَفَرْجُلٍ).

وأما (عقنقلٌ) فإن كان من الأربعة فهو كجَحَنْفَلٍ، وإن كان من الثلاثة فهو أبين فى أن النون زائدة، وإنما عقنقلٌ من التعقيل" (١).

فاستدل على زيادة النون فى (كَنَهْبَل)(٢) بعدم النظير وهى فيه ثانية متحركة.

ويقيس (كَنَهْبَلُ) على عَرَنْتن التى وقعت فيها النون زائدة ثالثة ساكنة، وأكد زيادة النون فى عرنتن لقولهم (عرتن) بدون نون، و (قَرَنْفُل) مزيد بالنون الساكنة ثالثة؛ لأنه ليس فى الكلام مثل (سَفَرْجُل) بضم الجيم.

أما (عقنقل)(٣) فيجوز فيه أن يكون رباعياً مزيداً بالنون الثالثة الساكنة، وإن كان ثلاثياً فيكون مزيداً بالنون ومضاعفة العين ويرجح أن يكون ثلاثياً مزيداً بحرفين.

ويقول سيبويه:

"وأما القِنْفَخْرُ(٤) فالنون فيه زائدة؛ لأنك تقول: (قُفَاخِرِىٌّ) فى هذا المعنى.

... وأما (صَنَفْنَدَدٌ)(٥) فمبزلة (دَلَنْظَى)؛ لأنه قد بلغ مثال سَفَرْجلٍ، والنون ثالثة ساكنة.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٣.

(٢) الكَنَهْبَل: شجر.

(٣) العقنقل: الكثيب العظيم المتداخل الرمل.

(٤) القِنْفَخْرُ: الفائق فى نوعه.

(٥) الصَنَفْنَدَدُ: الأحمق.

فكما صارت نون عقنقل كياء (خَفَيْدَد)[1] صارت هذه بمنزلة ياء (خفيدد)، وواو (حَبَوْثَنٍ) فهذا سبيل بنات الأربعة وما لحق بها من الثلاثة. وليست بمنزلة (قَفَعْدَد)، كما أن جحنفلاً ليس كَهَمَرْجَلٍ، لأن الثالث من حروف الزيادة، فالواو المزيدة كألف سبندى، والنون كنونها" [2].

فيستدل سيبويه على زيادة النون ثانية ساكنة فى قنفخر لسقوطها من (قفاخرى).

ويقيس (ضفندد) على (دلنظى) لزيادة النون ثالثة ساكنة فى كل منهما حتى يلحق بـ (سفرجل) ويجعل النون زائدة وهى ثالثة ساكنة فى (عقنقل) لمقابلتها للياء الزائدة فى خفيدد، والواو الزائدة فى (حبوثن).

أما (جحنفل) فليست كهمرجل لأن الراء ليست من حروف الزيادة.

ويقيس سيبويه زيادة النون ثانية ساكنة على مثال ما هى فيه زائدة ثانية متحركة حيث يقول: "وأما (كُنْتأل) و (خُنْثَعْبَة)[3] فبمنزلة (كَنَهْبَلٍ)؛ لأنه ليس فى الكلام على مثال (جُرْدَحْلٍ)، وإنما جاء هذا المثال بحرف الزيادة، فهو بمنزلة (كَنَهْبَل) و(عُنْصَلٍ)[4]"[5].

---

(١) خَفَيْدَد: السريع.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٣) خُنْثَعْبَة : الناقة الغزيرة اللبن.

(٤) العُنْصلِ: البصل البرى.

(٥) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٥.

زيادة الميم

يتكلم سيبويه عن زيادة الميم بقوله:

"فأما الميم فإذا جاءت ليست فى أول الكلام فإنها لا تزاد إلا بثبت لقلتها، وهى غير أولى زائدة.

وأما ما هى ثبت فيه فـ (دُلامِصٌ)؛ لأنه من التدليص، وهذا كجرائضٍ، وقالوا سُتْهُم وزُرْقُمّ يريدون الأزرق والأسته" (١).

فقرر أن الميم لا تزاد غير أول إلا بدليل لقلة ذلك، ولكنها تزاد أولاً كثيراً للدلالة على اسم المفعول وعلى اسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة، وعلى المصدر للمفاعلة ومثل لزيادتها غير أول فى قولهم (دلامص) واستدل على زيادتها بأنها من التدليص وتزاد آخرا كما فى ستهم وزرقم.

زيادة الهمزة

قال سيبويه:

"وكذلك (الهمزة) لا تزاد غير أولى إلا بثبت، فمما ثبت أنها فيه زائدة قولهم: ضَهْيَأ لأنك تقول: (ضهياء) كما تقول (عمياء)، وجُرائض؛ لأنك تقول : جِرواضٌ، وحطائط هو الصغير؛ لأن الصغير محطوط، والضهيأ: شجر، وهى أيضاً: التى لا تحيض.

وقالوا أيضاً: ضهياء مثل عمياء" (٢).

فالهمزة كالميم تزاد أولا كثيرا، ولا تزاد غير أولى إلا بدليل. ويمثل لزيادتها بـ (ضَهْيَأ) ويستدل على زيادتها بقولهم فى معناها (ضهياء) فالهمزة فيهما زائدة ويوضح معناها.

وزيادتها فى (جرائض) لقولهم (جرواض) بدون همزة.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ٣٢٥.

الزيادة بمضاعفة العين أو اللام

قال سيبويه:

"اعلم أن كل كلمة ضوعف فيها حرف مما كانت عدته أربعة فصاعداً فإن أحدهما زائد، إلا أن يتبين أنها عين أو لام فيكون من باب مددت وذلك نحو: قَرْدَدٍ، ومَهْدَدٍ، وسُودَدٍ، ورِمْدَدٍ، وجُبُنٍّ وخِدَبٍّ، وسُلَّمٍ، وحُمَّرٍ، ودِئَبٍ، وكذلك جميع ما كان من هذا النحو"[1].

فمثل ببعض الأسماء التى ضوعف فيها أحد حروفها فضوعفت اللام فى نحو قردد، ومهـــدد مفتوح الفاء، وسُودد مضموم الفاء، ورمدد مكسور الفاء.

وفى جُبُنٍّ على فُعُلٍّ ادغم الحرفان، وكذلك (خِدَبّ) وهما فى موضع اللام أما فى سُلَّمٍ، وحُمَّرٍ ودِئَبٍ فضوعفت العين وادغمتا.

وأضاف سيبويه:

"فإن قلت: لا أجعل إحداهما زائدة إلا باشتقاق منه مالا تضعيف فيه، أو أن يكون على مثال لا يكون عليه بنات الأربعة والخمسة دخل عليك أن تقول: القِلَّف[2] بمنزلة الهجرع؛ وإن الـــلام بمنزلة الراء والجيم، وإن اللام فى (جلّوز) بمنزلة الدال والراء فى (فردوس) وإن البـــاء فى (الجُبَّـــاء) بمنزلة الراء والطاء فى (قرطاس). فإذا قلت هذا فقد قلت مالا يقوله أحد. فهذا المضاعف الزيادة منه فيما ذكرت لك كالألف رابعة فيما مضى"[3].

يريد سيبويه أن العين إنما ضوعفت للإلحاق بنحو هجرع، وفى جلوز للإلحاق بـــ (فردوس) وفى جباء للإلحاق بـــ (قُرطاس) بضم الفاء.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٣٢٦.

(٢) القِلَّفُ: الطين اليابس.

(٣) الكتاب لسيبويه جـــ٤ ص ٣٢٦.

ثم قال سيبويه:

"وقد تدخل بين الحرفين الزيادة وذلك نحو: شِمْلال، وزِحْليل وبُهلول، وعَثَوْثَل، وفِرنـداد وعقنقل، وخَفَيْفَد، فكما جعلت إحداهما زائدة وليس بينهما شئ، كذلك جعلت إحـداهما زائـدة وبينهما حرف.

وقد تبين لك أنهم يفعلون ذلك فى (شملال)؛ لأنهم يقولون: طِمِـلٌّ وشِـمِلَّة، وفى شمليـل، وعقنقل وعَثَوْثل؛ لأنك تقول: عِثْوَلٌ. فقد تبين لك بهذا أن التضعيف ههنا بمنزلته إذا لم يكن بينهما شئ كما صار ما لم يُفصل بينه بكثرة ما اشتق منه مما ليس فيه تضعيف، بمنزلة ما فيه ألف رابعـة، وكذلك المضاعف فى (عَدَبَّس) و (قَفَعْدَد) وجميع هذا النحو فى التضعيف"[1].

فتكلم سيبويه فى هذا النص عن وقوع الحرف الزائد بين اللامين ومثل له بزيادة الألـف فى (شملال)، والياء فى (زحليل)، والواو فى (بهلول)، وبين العينين بزيادة الواو فى (عَثوثل)، والنـون فى (عقنقل) والياء فى (خفيفد).

فتكون الزيادة فى هذه الأسماء بمضاعفة العين أو اللام مع زيادة الواو أو الألف أو اليـاء أو النون.

ووضح سيبويه حروف الزيادة فى الأمثلة السابقة بقوله:

"هذا باب علم مواضع الزوائد من مواضع الحروف غير الزوائد".

سألت الخليل فقلت: سُلِّم أيتهما الزائدة ؟ فقال: الأولى هى الزائـدة؛ لأن الـواو واليـاء والألف يقعن ثوانى فى (فوعل، وفاعل، وفيعل).

وقال فى فَعْلَلٍ وفِعَلٍّ ونحوهما: الأولى هى الزائدة؛ لأن الواو والياء والألف يقعن ثوالـث فى: جدول عِثير، وشمال.

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

وكذلك: عَدَبَّسٌ ونحوه، جعل الأولى بمنزلة واو (فدوكس) ويـاء (عميثـل)[1]. وكـذلك قَفَعْدَدٌ، جعل الأولى بمنزلة واو (كَنَهْوَرٍ).

وأما غيره فجعل الزوائد هى الأواخر، وجعل الثالثة فى سلم وأخواتها هى الزائدة؛ لأن الواو تقع ثالثة فى جدول والياء فى عِثْيَرٍ. وجعل الآخرة فى مهدد ونحوه بمنزلة الألف فى معزىً وتتـرى، وجعل الآخرة فى خِدَبٍّ[2] بمنزلة النون فى خِلْفَنَةٍ ، وجعل الآخـرة فى عَـدَبَّسٍ بمنزلـة الـواو فى (كَنَهْورَ وبَلَهْور).

وجعل الآخرة فى قِرشَبٍّ[3] بمنزلة الواو فى قِنْدَأوٍ[4]، وجعل الخليل الأولى بمنزلـة الـواو فى (فِرْدَوْسٍ) ، وكلا الوجهين صواب ومذهب.

وجعل الأولى فى (عِلْكِدٍ)[5] بمنزلة النون فى قِنفَخْرٍ. وغيره جعل الآخرة بمنزلة واو عِلْوَدٍّ.

وأما (الهُمَّقِع[6] والزُّمَّلِق[7]) فبمنزلة (العَدَبَّس[8])، إحدى الميمين زائدة فى قول الخليل وغيره سواءٌ[9].

فسيبويه يسأل الخليل عن الزائد من الحروف المضاعفة فيجيبهُ الخليل بأن الأولى هى الزائدة ويعلل لقوله.

ويذكر سيبويه رأيا مخالفا لقول الخليل نسبه سيبويه لغير الخليل وقد يقصد به نفسه تأدباً مع أستاذه ويؤكد ذلك أنه لم ينسب هذا الرأى لصاحبه وهو القول بأن الثانى هو الزائد ويعلل لقوله.

---

(١) العميثل: البطئ لعظمه أو ترهله.

(٢) الخِدَبُّ: الضخم الطويل.

(٣) القِرشَبّ: المسن.

(٤) القِنْدَأو: الغليظ القصير.

(٥) العِلْكِد: الغليظ الشديد.

(٦) الهُمَّقِع: ضرب من ثمر العضاه.

(٧) والزُّمَّلِق: الخفيف الطائش.

(٨) العَدَبَّس: الشديد الموثق الخلق من الإبل.

(٩) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٩.

ثم يؤكد سيبويه أن كلا الرأين صواب ومذهب. وإن كان رأى سيبويه أولى بالقبول.

وأضاف سيبويه:

"وأما (الهمرش)[1] فإنما هى بمنزلة (القَهبَلس)[2]؛ فالأولى نـون يعنى إحدى الميمين نـون ملحقة بقهبلس؛ لأنك لا تجد فى بنات الأربعة على مثال فَعَّلِل.

وأما (الهُمَّقع) فلا تجعل الأولى نونا لأنا لم نجد فى بنات الخمسة على (سُفْرَجِلٍ).

فتقول: الأولى نون؛ لأنه ليس فى بنات الخمسة على مثال فُعْلِلٍ.

فلما لم يكن ذلك فى الخمسة جعلنا الأولى ميماً على حالها حتى يجئ ما يخرجها من ذلك ويبين أنها غير ميم. كما أنك لا تجعل الأولى فى غَطَمَّشٍ[3] نونا إلا بثبت، فكذلك هذه فهى عندنا بمنزلة (دُبَّخْسٍ[4]) فى بنات الأربعة[5].

ويشرح سيبويه قول الخليل فى هذا النص بقوله:

"يقول – أى الخليل – لما لم يكن فى بنات الخمسة على مثال (سُفْرَجِلٍ) لم تكن الأولى من الميمين اللتين فى (همقع) نوناً فتكون ملحقة بهذا البناء؛ لأنه ليس فى الكلام؛ ولكنا نقول: هى ميم مضعفة؛ لأن العين وحدها لا تلحق بناءً ببناء، ولا ينكر تضعيف العين فى بنات الثلاثة والأربعة والخمسة" [6].

ثم قال سيبويه: "هذا باب ما ضوعفت فيه العين واللام.

كما ضوعفت العين وحدها، واللام وحدها.

---

(١) الهمرش: العجوز الكبيرة المسنة.

(٢) القَهبَلس: الأبيض الذى تعلوه كدره.

(٣) الغَطَمَّش: العين الكليلة النظر.

(٤) الدُّبَّخْس: الضخم.

(٥) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٣٠.

(٦) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٣٠.

وذلك نحو: ذُرَحْرَحٍ[1]، وحلبلاب[2]، وصَمَحْمَح[3]، وبَرَهْرَهَة[4]، وسرطراط[5] يدلك على ذلك قولهم: ذُرَّاحْ، فكما ضاعفوا الراء كذلك ضاعفوا الراء والحاء"[6].

ففى (ذرحرح) ضوعفت العين واللام، وفى (حلبلاب) ضوعفت العين واللام مع زيادة ألف قبل الآخر. وكذلك فى (سرطراط).

ثم قال سيبويه:

"وكذلك: مرمريس، ضاعفوا الفاء والعين كما ضاعفوا العين واللام ألا ترى أن معناه مـــن المراسة.

فإذا رأيت الحرفين ضوعفا فاجعل الثنين منهما زائدين كما تجعل أحد الاثنين فيما ذكرت لك زائداً ولا تكلفنَّ أن تطلب ما اشتق منه بلا تضعيف فيه كما لا تكلفه فى الأول الذى ضوعف فيه الحرف"[7].

فيوضح سيبويه بهذا النص أن الفاء والعين يضاعفان كما ضوعفت العين واللام ويذكـــر لذلك مثالا هو (مرمريس) ويستدل على قوله بأنها من المراسة.

---

(١) الذُرَحْرَح: دويبة أعظم من الذباب.

(٢) الحلبلاب: نبت تدوم خضرته.

(٣) الصَمَحْمَح: الشديد المجتمع الألواح.

(٤) البَرَهْرَهَة: المرأة البيضاء أو التى تكاد ترعد من الرطوبة.

(٥) السرطراط: السريع البلع.

(٦) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٧.

(٧) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

الأفعال الرباعية المجردة

قال الخليل:

"والرباعى من الأفعال نحو: دحرج ، هملج، قرطس، مبنى على أربعة أحرف."[1]

أما سيبويه فيقول:

"هذا باب مصادر بنات الأربعة.

فاللازم لها الذى لا ينكسر عليه أن يجئ على مثال (فعللة)، وكذلك كل شئ ألحق من بنات الثلاثة بالأربعة وذلك نحو: دحرجته دحرجة وزلزلته زلزلة."[2]

فسيبويه لم يتكلم عن الأفعال الرباعية المجردة مباشرة وإنما تكلم عنها فى سياق الحديث عن مصدر الفعل الرباعى ومثل بفعلين مختلفين أحدهما سالم والآخر مضعف.

ومن الرباعى من الأفعال كذلك الأفعال الملحقة بالرباعى وعنها يقول سيبويه:

"هذا باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة وألحق ببنات الأربعة حتى صار يجرى مجرى ما لا زيادة فيه، وصارت الزيادة بمنزلة ما هو من نفس الحرف.

وذلك نحو: (فعللت) ألحقوا الزيادة من موضع اللام وأجروها مجرى دحرجت، والدليل على ذلك أن المصدر كالمصدر من بنات الأربعة نحو: جلببت جلببة، وشمللت شمللة."[3] فوضح أن الثلاثى يلحق ببناء الرباعى وأن الزائد فيه يجرى مجرى الأصول.

---

(١) كتاب العين للخليل جـ١ ص ٥٤.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٨٥.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٨٦.

ثم قال:

"وإذا ضاعفت اللام وكان فعلاً ملحقاً ببنات الأربعة لم تُدغم؛ لأنك إنما أردت أن تضاعف لتُلحقه بما زِدتَ بدَحْرَجْتُ وجحدلت وذلك قولك: جلببته فهو مُجلببٌ وتَجَلْبَبَ ويتجلبب أجريته مجرى تدحرج ويتدحرج فى الزنة كما أجريت فعللت على زنة دحرجتُ"(١).

فمثل بفعلين مجردين هما: دحرج وجحدل، وما ألحق بهما (جلبب).

وقال سيبويه:

" وقال – أى الخليل – : "ضوضيت وقوقيت بمنزلة ضعضعت ولكنهم أبدلوا الياء إذا كانت رابعة، وإذا كررت الحرفين فهما بمنزلة تكريرك الحرف الواحد، فإنما الواوان ههنا بمنزلة ياءى (حييت) وواوى (قوة) لأنك ضاعفت، وكذلك حاحيت وعاعيت وهاهيت ولكنهم أبدلوا الألف لشبهها بالياء فصارت كأنها هى."(٢)

فسيبويه ينقل عن الخليل قوله: إن الياء مبدلة من الواو فى قوقيت وضوضيت قياساً على الصحيح (ضعضعت).

المزيد من الأفعال الرباعية

وقال الخليل:

"والخماسى من الأفعال نحو: (اسْحَنْكَكَ واقْشَعَرَّ) واسحنْفَر واسْبَكَرَّ) مبنى على خمسة أحرف."(٣)

فمثل بأفعال مزيدة بحرفين همزة الوصل مع زيادة النون ثالثة ساكنة، أو مضاعفة اللام.

"والألف التى فى (اسحنكك واقشعرَّ واسحنفر واسبكرَّ) ليست من أصل البناء وإنما أدخلت هذه الألفات فى الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً وسُلَّماً للسان إلى حرف البناء؛ لأن

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٢٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٣٩٣.

(٣) كتاب العين للخليل جـ١ ص ٥٤.

حرف البناء حين ينطلق بنطق الساكن من الحروف يحتاج إلى ألف الوصل، لا أن (دحرج وهملـج وقرطس) لم يحتج فيهن إلى الألف لتكون السلم فافهم إن شاء الله.

واعلم أن الراء فى (اقشعرّ واسبكرّ) هما راءان، أدغمت واحدة فى الأخرى والتشديد علامة الإدغام."[1]

فوضح أن ألف الوصل زيدت فى أول الفعل للتمكن من النطق بالساكن.

ووضح أن الراء ضوعفت فى نحو (اقشعرّ واسبكرّ) ثم أدغمتا.

وقال سيبويه:

"وقد تلحق النون ثالثة من هذا ما كانت زيادته من موضع اللام، وما كانت زيادته ياءً أخرةً ويسكن أول حرف فتلزمه ألف الوصل فى الابتداء ويكون الحرف على افعنللت وافعنليت ويجرى على مثال استفعلت فى جميع ما صرفت فيه استفعل فافعنلل نحو: اقعنسس واعفنجج وافعنليت نحو: اسلنقيت واحرنبى.

ثـم قـال:

" فكما لحقتا ببنات الأربعة وليس فيها إلا زيادة واحدة، كذلك زِيدَ فيهما ما يُزاد فى بنات الأربعة وذلك نحو (احْرَنْجَمَ [2] واَخْرَنْطَمَ [3]) ولم تزد هذه النون فى هذه الأشياء إلا فيما كانت الزيادة فيه من موضع اللام، أو كانت الياء أخرةً زائدة؛ لأن النون ههنا تقع بين حرفين من نفس الحرف، كما تقع فى (احرنجم) ونحوه، وإذا ألحقوها فى البقية توالت زائدتان فخالفت احرنجم فَفُرِّقَ بينهما لذلك."[4]

فهو لم يتكلم عن زيادة النون فى (احر نجم واخرنطم) مباشرة فالفعل الرباعى تزاد فيه النون بين حرفين من أصل الكلمة.

---

(١) كتاب العين للخليل جـ١ ص ٥٤.

(٢) احْرَنْجَمَ القوم: ازدحموا.

(٣) اَخْرَنْطَمَ الرجل: عوّج خرطومه وسكت على غضبه.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٢٨٧.

وقال أيضاً:

"وتلحق آخره الزيادة من موضع غير حروف الزوائد فيلزم التضعيف، ويسكن أولُ حرفٍ فيه، فيلزم ألف الوصل فى الابتداء، ويكون على (استفعل) فى جميع ما صرف فيه وذلك نحو: اقْشَعْرَرْتُ واطمأننت فأجروه واحرنجم على هذا كما أجروا (فَعَّل) و (فاعل) و (أفعل) على دحرج. ونظيره من الثلاثة (احمررت)[1].

فالزيادة هنا فى غير موضع حروف الزوائد، ومن ثم لزم التضعيف للام الفعل فسكن أوله فلحقته همزة الوصل، وقاسه على استفعل فى حركاته وسكناته وعدد حروفه وتصرفه، ومثل له بـ (اقشعرَّ) و (اطمأنَّ) كما جرى (احرنجم) على (استفعل).

وكما جرى فَعَّلَ وفاعل وأفعل مجرى (دحرج) من المجرد الرباعى، جعل (اقشعرَّ) واطمأنَّ من مزيد الرباعى نظير (احمررت) من مزيد الثلاثى لاتفاقهما فى زيادة همزة الوصل فى أوله مع مضاعفة لامه.

وقال سيبويه: "هذا باب (افعوعلت) وما هو على مثاله مما لم نذكره.

قالوا: خَشُنَ، وقالوا : اخشوشن وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنه إذا قال: اعشوشبتِ الأرضُ فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً، قد بالغ، وكذلك (احلولى)."[2]

فسيبويه يمثل بالفعل الثلاثى ويأتى بالمزيد منه ويسأل الخليل عن سبب الزيادة فيجيبه بأن الغرض منها المبالغة والتوكيد، ويؤكد قوله بتمثيله بـ (اعشوشبت) الأرض وذلك للمبالغة فى انتشار العشب بها، وكذلك (احلولى).

وأضاف سيبويه:

"وربما بنى عليه الفعل فلم يفارقه، كما أنه قد يجئ الشئ على (أفعلتُ) و (افتعلت) ونحو ذلك، لا يفارقه بمعنى، ولا يستعمل فى الكلام إلا على بناء فيه زيادة.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٣٠٠.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٧٥.

ومثل ذلك: اقطرَّ النبت واقطارَّ النبت؛ لم يستعمل إلا بالزيادة، وابهارَّ الليل، وارعويت، واجلوَّذت، واعلوَّطت من نحو (اذلولى).

واجلوَّذ واعلوَّط، إذا جد به السير. واقطار النبت، إذا وَلىَّ وأخذ يجف، وابهارَّ الليل؛ إذا كَثُرَتْ ظلمته، وابهارَّ القمر إذا كثر ضوؤه، و(أعْلَوْطَته) إذا رَكِبْتَه بغير سرج، واعروريت الفَلوَّ إذا ركبته عُرْياً، وكذلك البعير."[1]

فوضح بعض الأفعال التى تبنى على الزيادة ولا تستعمل بغير زيادة وضرب أمثلة لقوله بأفعال مزيدة فى جمل مفيدة موضحاً معناها.

واستطرد سيبويه قائلاً:

"ونظير (اقطارَّ) من بنات الأربعة: اقشعررت ، واشمأززت.

فأما قَعِس واقعنسس فنحو: حَلِيَ واحلولى.

وأما اسحنكك: اسود، فبمنزلة (اذلولى) ، وأرادوا بافعنلل أن يبلغوا به بناء (احرنجم) كما أرادوا بصعررتُ بناء (دحرجت) فكذلك هذه الأبواب فعلى نحو ما ذكرت لك فوجِّهها."[2]

فيقيس على (اقطارَّ)، اقشعرّ من مزيد الرباعى وكذلك (اشمأزَّ).

حيث ضوعفت اللام مع زيادة ألف الوصل فى أوله.

ثم مثل بالثلاثى (قعِس) على (فَعِلَ) والمزيد منه (اقعنسس) على (افعنلل) وشرح معنى (اسحنكك) على (افعنلل) ومعناه اسود كما قالوا (احرنجم) على (افعنلل). وقاس الزيادة فى صعرر بمضاعفة اللام ليلحق بالرباعى المجرد (دحرج).

وأضاف سيبويه: "هذا باب ما لا يجوز فيه (فعلته).

إنما هى أبنية بنيت لا تَعدَّى الفاعلَ، كما أن (فعلتُ) لا يتعدَّى إلى مفعول. فكذلك هذه الأبنية التى فيها الزوائد.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٧٦.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٧٦.

فمن ذلك: انفعلتُ، ليس فى الكلام (انفعلته)؛ نحـو: انطلقـتُ وانكمـشت وانجـردتُ، وانسللت، وهذا موضعٌ قد يستعمل فيه (انفعلت). وليس مما طاوع فعلتُ، نحو: كسرته فانكسر، ولا يقولون فى ذا: طلقته فانطلق، ولكنه بمنزلة: ذهب ومضى، كما أن (افتقر) بمنزلة : ضَعُفَ، وأى المعنيين عنيت فإنه لا يجئ فيه انفعلته."(١)

فوضح لزوم هذه الأفعال وعدم تعديها إلى مفعول به، ومن الأفعال المزيدة اللازمة ما جـاء على انفعل نحو: انطلق، وانكمش، وانجرد ومعناهما معنى انطلق وهو الجد فى السير.

كما أكد أن (انفعل) هنا ليس للمطاوعة نحو كسرته فانكسر، ولكن انطلق بمعـنى: ذهـب ومضى ، وكذلك افتعل نحو (افتقر) بمنزلة ضعف.

وكل ما ورد على (انفعل) يكون لازما غير متعدٍ للمطاوعة ولغير المطاوعة.

وقال أيضاً:

"وليس فى الكلام (احرنجمته)؛ لأنه نظير انفعلت فى بنات الثلاثة، زادوا فيه نوناً وألف وصل كما زادوهما فى هذا، وكذلك: افعللت، لأنهم أرادوا أن يبلغوا به (احرنجمت). وليس فى الكلام : افعللته، وافعليته ولا افعالته، ولا افعللته وهو نحو: احمررت واشهابيت.

ونظير ذلك من بنات الأربعة: اطمأننت واشمأززت. لم نـسمعهم قـالوا: فعلتـه فى هـذا الباب."(٢)

فأضاف بعض أوزان الأفعال المزيدة اللازمة فاحرنجم على (افعنلل) واحمرَّ علـى (افعـلَّ) ، وكذلك اشهابّ على (افعالَّ)، وكذلك (اطمأنَّ) على افعللَّ ، ونحوه (اشمأزّ). كلها أفعال لازمة غير متعدية.

ووضح أن الزيادة ألف الوصل فى أوله بعد زيادة النون ثالثة لسكون أول الفعل.

ولم يمثل سيبويه لـ (افعنلى) وتمثل له بـ (احبنطى) وعنه يقـول ابـن منظـور: "يقـال: احبنطأت واحبنطيت. والنون والهمزة والألف والياء زوائد للإلحاق."(٣)

وعن معناه يقول ابن منظور: "المحبنطى: المتغضب المستبطئ للشئ."(١)

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٧٧.

(٣) لسان العرب مادة (حبط).

ووضح سيبويه تعدى بعض الأوزان بقوله:

"وأما (افْعَوْعَل) فقد تعدى. قال: حميد الهلالى[٢]:

فلما أتى عامان بعد انفصاله

عن الضرع واحلولى دمائا يَرُودُهَا[٣]

وكذلك: افعَوَّلَ، قالوا: اعلوَّطْتُه. وكذلك فَعللتُه، صعرَرْتُه؛ لأنهم أرادوا بناء (دَحْرَجْتُـه) وقال[٤]:

سُودٌ كحبِّ الفُلفُل المصَعْرَرِ[٥].

وكذلك فوعلته[٦] مُفَوْعَلةً، نحو: مُكَوْكَبَة، لأنهم أرادوا بناء بنات الأربعة، فجعلوا من هذه التى هى ذات زوائد أبنية الأربعة، وهـى أقـل مما يتعدى من ذوات الزوائد، كما أن ما لا يتعدى من فَعَلتُ وفَعلتُ أقلُّ .." [٧].

وهكذا نجد سيبويه يذكر الأوزان المختلفة للأفعال المزيدة ويمثل لها بأفعال من كلام العرب ويوضح استعمال العرب لها من حيث التعدى واللزوم ويذكر شواهد من أشعار العرب كما يذكر معانى هذه الأفعال ويذكر المجرد منها والمزيد وما بنى على الزيادة.

---

(١) لسان العرب مادة (حبط).

(٢) ينظـر ديـوان حميـد بـن ثـور الهـلالى ص ٧٣، والمنـصف لابـن جـنى جـ١ ص ٨١، وشرح المفصل لابن يعيش جـ٧ ص ١٦٢.

(٣) الشاهد فيه تعدية (احلولى) وهى على زنه (افعوعل)، والبيت من الطويل.

(٤) القائل مجهول وينظر المنصف جـ١ ص٨٣، ولسان العرب مادة (صعر).

(٥) صعرره: دحرجه فتدحرج واستدار ، ورواية المنصف (سوداً) بالنصب والشاهد فيه تعدى (صعرر).

(٦) قال محقق الكتاب: "لم يأت سيبويه هنا لهذا الوزن بمثال عند تعديته ومن أمثلته التى وردت عن العرب صومع بناءه : علاه، وانظر المنصف لابن جنى جـ١ ص ٨٤" حاشية المحقق على الكتاب جـ٤ ص ٧٨.

(٧) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٧٧ – ٧٨.

مخارج الحروف وصفاتها

أولاً: حروف الذلاقة والحروف الشفوية

قال الخليل:

"اعلم أن الحروف الذّلق والشفوية ستة وهى:

ر ل ن ، ف ب م، وإنما سميت هذه الحروف ذَلَقاً لأن الذلاقة فى المنطق إنما هى بطرف أسَلَة اللسان والشفتين وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلِيقة (ر ل ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم. وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصة. لا تعمل الشفتان فى شئ من الحروف الصحاح إلا فى هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون"(١).

فالخليل ذكر ثلاثة من حروف الذلاقة وهى الراء واللام والنون، وثلاثة من الحروف الشفوية وهى الفاء والباء والميم ووصف مخرجها وعلل لتسميتها بالحروف الذليقة والحروف الشفوية.

أما سيبويه فيقول:

"ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل من ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء"(٢).

فكان سيبويه أدق فى تحديد مخارج الحروف من الخليل حيث وضح مخرج النون، ومخرج الراء واللام .

وقال عن الحروف الشفوية:

"ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلا مخرج الفاء، ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"(٣).

---

(١) كتاب العين للخليل جـ١ ص ٥٧.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٤٣٣.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٤٣٥.

ففرق بين مخرج الفاء، ومخرج الباء والميم من الحروف الصحيحة والواو من حروف العلة.

وفى صفات هذه الحروف يقول سيبويه:

"ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو (اللام)، وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع (اللام) ولكن من ناحيتى مستدق اللسان، فويق ذلك"(١).

فاللام حرف شديد ومنحرف لانحراف اللسان مع الصوت.

ويستطرد سيبويه فى وصف الحروف بقوله:

"ومنها حرف شديد يجئ معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنة من الأنف فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم.

ومنها (المكرر) وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافَى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء"(٢).

فوصف النون بأنه حرف شديد ومخرجه من الأنف واللسان وكذلك الميم و (الراء) حرف مكرر من حروف الشدة كذلك وينحرف إلى اللام.

وقد وافق ابن جنى سيبويه فى تحديده لمخارج الحروف حيث يقول:

"ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب الرباعية والثنية مخرج اللام.

ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٤٣٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٤٣٥.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء"[1].

وأضاف ابن جنى قوله:

"وَيدلّك على أن النون الساكنة إنما هى من الأنف والخياشيم أنك لو أمسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلة، وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا، إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف"[2].

أما ابن الحاجب فقد خالف سيبويه ومن تبعه من النحاة فى مخرج اللام حيث قال:

"وللام ما دون طرف اللسان إلى منتهاه وما فوق ذلك"[3].

وعلق الرضى على نص ابن الحاجب بقوله:

"قوله (وللام ما دون طرف اللسان) يريد بما دون طرفه ما يقرب رأس اللسان من جانب ظهره إلى منتهاه أى إلى رأس اللسان.

قوله (وما فوق ذلك) أى ما فوق ما دون طرف اللسان إلى رأسه وهو من الحنك ما فوق الثنية ... واللام يخرج من فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، لا من نفس الأسنان وحافة اللسان، وجميع علماء هذا الفن على ما ذكر سيبويه، والمصنف خالفهم كما ترى فليس بصواب"[4].

فالرضى يوافق سيبويه بعد توضيح مخالفة ابن الحاجب لسيبويه فى بعض مخارج الحروف ومنها مخرج اللام.

وأضاف الرضى قوله:

.... وخالف الفراء سيبويه فى موضعين:

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جنى جـ١ ص ٤٧.

(٢) سر صناعة الإعراب جـ١ ص ٤٨.

(٣) الشافية لابن الحاجب بشرح الرضى جـ ٣ ص ٢٥٠.

(٤) شرح الشافية للرضى جـ ٣ ص ٢٥٣.

أحدهما: أنه جعل مخرج الياء والواو واحداً.

والآخر: أنه جعل الفاء والميم بين الشفتين.

وأحسن الأقوال ما ذكره سيبويه، وعليه العلماء من بعده"(١).

فالرضى ينسب إلى الفراء مخالفة سيبويه فى موضعين وبعد أن وضحهما قرر أن الصواب قول سيبويه ومتابعة العلماء له مما يدل على أثر سيبويه فى النحاة من بعده.

ثم قال الخليل بعد أن وضح حروف الذلاقة:

"فلما ذلقت الحروف الستة، ومَذل بهن اللسان وسهلت عليه فى المنطق كثـرت فى أبنيـة الكلام فليس شئ من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها"(٢).

وهذا يدل على إحاطته باللغة العربية واستقرائه لمفرداتها وتمكنه وفهمه الدقيق لأسرارها.

وأكد ما سبق بقوله:

"فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون فى تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة مُحْدَثـة مبتدعة، ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجداً من يسمع فى كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذّلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر"(٣).

فقرر أن ما كان من الرباعى أو الخماسى فلا يخلو من حروف الذلاقة أو الحروف الـشفوية وقد يكون فى الكلمة الواحدة أكثر من حرف منها وهى الراء واللام والنون، والفاء والباء والميم.

وقال الليث مستفسراً من الخليل:

"قال ليث : قلت: فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشئ من هذه الحروف ؟ فقال: نحو: الكشعثج والخضعثج والكشعطج وأشباههن، فهذه مولدات لا تجوز فى كلام العـرب؛

(١) شرح الشافية للرضى جـ ٣ ص ٢٥٤.

(٢) كتاب العين للخليل جـ ١ ص ٥٨.

(٣) كتاب العين للخليل جـ ١ ص ٥٨.

لأنه ليس فيهن شئ من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً، وإن أشبه لفظهم وتأليفهم فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنت"[1].

فالليث يستفسر كيف تخلو الكلمة من هذه الحروف ويجيبه الخليل ببعض الأمثلة ويؤكد له أنها ليست من كلام العرب لخلوها من حروف الذلاقة والحروف الشفوية.

ويستطرد الخليل قائلاً:

"وأما البناء الرباعى المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها إلا كلمات نحواً من عشر جئن شواذّ".

ومن هذه الكلمات: "العسجد[2]، والقسطوس[3]، والقداحس[4]، والدعشوقة[5] والدهدعة[6] والزهزقة[7] وهى مفسرة فى أمكنتها"[8].

وأضاف الخليل:

"وليس فى كلام العرب (دعشوقة) ولا (جلاهق) ولا كلمة صدرها (نر) وليس فى شئ من الألسن (ظاء) غير العربية ولا من لسانٍ إلا التنور فيه تنور.

---

(١) كتب العين للخليل جـ١ ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) العسجد: الذهب وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت. ينظر لسان العرب لابن منظور - مادة (عسجد).

(٣) لم أعثر على القسطوس وفى ارتشاف الضرب العسطوس بالعين: شجر كالخيرزان تنظر جـ١ ص ١٢.

(٤) القداحس: الشجاع الجرئ، وقيل: السئ الخلق. ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (قدحس).

(٥) الدعشوقه: دويبة كالخنفساء، وربما قيل للصبية والمرأة القصيرة: يا دُعشوقة .. ينظر لسان العرب مادة (دعشق).

(٦) لم أجد دهدعة وفى ارتشاف الضرب دهدق اللحم كسره وقطعه وكسر عظامه ينظر ارتشاف الضرب. جـ١ ص ١٢.

(٧) دهدق: الأزهرى فى النوادر: زهزق فى ضحكه زهزقة، ودهدق دهدقة.

(٨) كتاب العين للخليل جـ١ ص٥٩.

وهذه الأحرف قد عرين من الحروف الذلق، كذلك نزرن فقللن. ولولا ما لزمهن من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال ولكن العين والقاف لا تدخلان فى بناء إلاَّ حَسَّنَتاه؛ لأنهما أَطْلَق الحروف وأضخمها جرساً"(١).

فالخليل يؤكد أنه لا يوجد فى كلام العرب كلمة رباعية أو خماسية تخلو من حروف الذلاقة أو الحروف الشفوية فليس فى كلامهم مثال دعشوقة ولا جلاهق ولا كلمة صدرها (نر) يشير إلى أن نحو (نرجس) ليست عربية.

قال أبو حيان:

"... وعلى نَفْعِل (نَرْجِس) ولا نعلم غيره قال بعضهم وأظنه أعجمياً ونِفْعِل (نرِجس) ويفرج وقيل: تفرج، وتعاقب القاف والنون يدل على الزيادة"(٢).

ويضيف الخليل أن هذه الكلمات نزرة وقليلة حيث خلت من حروف الذلاقة والشفوية ولولا مالزمهن من القاف والعين ما حسن لأن القاف والعين تحسن البناء الذى تدخلانه لطلاقتهما ولجرسهما الضخم.

وأضاف الخليل:

"وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان. ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون"(٣).

فبعد أن تكلم الخليل عن حروف الذلاقة والحروف الشفوية تكلم عن سائر الحروف وبدأ بحرف التاء والشين حيث تجرى الحروف فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا.

وقال الخليل أيضاً:

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد جـ١ ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) ارتشاف الضرب لأبى حيان جـ ١ ص ٢٦.

(٣) كتاب العين للخليل جـ ١ ص ٥٧ - ٥٨.

"وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة فى أقصى الفم"[1].

فوضح مخرج الجيم والقاف والكاف.

وعن حروف الحلق يقول الخليل:

"وأما مخرج العين والحاء والهاء، والخاء والغين فالحلق، وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتاً مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"[2].

فجمع الحروف الحلقية العين والحاء والهاء، والغين والخاء، وجعل الهمزة مخرجهـــا أقـــصى الحلق. وأنها قد تلين إلى الياء والواو والألف.

أما سيبويه فيقول:

"ولحروف العربية ستة عشر مُخْرجاً"

فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العـــين، والحاء، وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء"[3].

فاتفق مع الخليل فى أن الهمزة مخرجها أقصى الحلق وجمع سيبويه معهـــا الهـــاء والألـــف فى الخروج من أقصى الحلق.

أما العين والحاء فمن أوسط الحلق، والغين والخاء أدناها مخرجاً من الفم.

وقال ابن جنى:

---

(١) كتاب العين للخليل جـ ١ ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٥٨.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

"واعلم أن مخارج الحروف ستة عشر؛ ثلاثة منها من الحلق فأولها من أسفله وأقصاه مخـرج الهمزة والألف والهاء، هكذا يقول سيبويه، وزعم أبو الحسن أن ترتيبها الهمزة، وذهب إلى أن الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها.

والذى يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاءً وهذا واضـح غـير خفى"(١).

فابن جنى يوافق سيبويه فى عده لمخارج الحروف وفى ترتيبه لمخارج هذه الحروف ووضـح خلاف أبى الحسن الأخفش مع سيبويه فى ترتيبه لهذه الحروف ويرى ابن جنى صحة قول سـيبويه وفساد قول أبى الحسن ويستدل على ذلك بقلب الألف همزة عند تحركها ولو كانت الهـاء معهـا لقلبت هاءً.

وقال أبو حيان:

"فعددها تسعة وعشرون حرفاً خلافاً للمبرد فى زعمه أن الهمزة ليست منها، والمخارج ستة عشر خلافاً لقطرب والجرمى والفراء وابن دريد فى زعمهم أنهم أربعة عشر ومحل الخـلاف وهـو مخرج اللام والنون والراء، فمذهب هؤلاء أنه مخرج واحد، ومذهب الجمهور أنها ثلاثة مخارج وهو الصحيح لتباينها عند الاختبار"(٢).

فأبو حيان ينسب إلى المبرد القول بأن الهمزة ليست حرفاً من حروف اللغة العربية، لأنه ليس لها صورة ثابتة.

حيث يقول المبرد:

"اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً منها ثمانية وعشرون لها صور ..." (٣).

وقال محقق المقتضب:

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جنى جـ ١ ص ٤٦ - ٤٧. وينظر الممتع لابن عـصفور جـ٢ ص ٦٦٨ - ٦٦٩.

(٢) ارتشاف الضرب لأبى حيان جـ ١ ص ٤.

(٣) المقتضب للمبرد جـ ١ ص ٣٢٨.

"والمبرد لم يعتبر الهمزة هنا من جهة أنها لا صورة لها ثابتة واعتبرها فيما يأتى ص ١٩٣ من الأصل"(١).

حيث يقول المبرد:

"وأما الحروف الستة التى كَمَّلْتْ هذه خمسة وثلاثين حرفا بعد ذكرنا الهمزة بين بين، فالألف الممالة، وألف التفخيم والحرف المعترض بين الشين والجيم، والحرف المعترض بين الزاى والصاد والنون الخفيفة فهى خمسة وثلاثون حرفاً"(٢).

فنجد أن فى المبرد هذا النص قد تابع سيبويه فى عده الهمزة حرفاً من تسعة وعشرين حرفاً، وفى إضافة حروف ستة حتى كملت خمسة وثلاثين حرفاً.

كما نسب أبو حيان إلى النحاة أن مخارج الحروف ستة عشر مخرجاً تبعاً لسيبويه والجمهور خلافا لقطرب والجرمى والفراء وابن دريد حيث زعموا أنها أربعة عشر مخرجاً ووضح محل الخلاف بينهم حيث يرى سيبويه والجمهور أن لكل حرف من اللام والنون والراء مخرجاً وهو الصحيح كما قال أبو حيان، ويرى قطرب والجرمى والفراء وابن دريد أن للثلاثة مخرجاً واحداً.

وقد رجح ابن جنى قول سيبويه كما وضحنا فى نصه السابق.

وبعد أن انتهى سيبويه من وصف مخارج حروف الحلق تكلم عن مخرج كل من القاف والكاف وغيرهما بقوله: "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء"(٣).

فسيبويه يرى أن مخرج القاف غير مخرج الكاف، وكذلك مخرج الجيم والشين والياء.

وأرى أن وصف سيبويه لمخارج الحروف أدق من وصف الخليل حيث لم يفرق الخليل بين مخرج الجيم والقاف والكاف، وحدد سيبويه مخرج كل منها.

---

(١) حاشية المحقق على المقتضب جـ١ ص ٣٢٨.

(٢) المقتضب للمبرد جـ ١ ص ٣٣٠.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

عدد حروف العربية

وعن عدد حروف اللغة العربية يقول الخليل كما حكى عنه الليث:

قال الليث: قال الخليل:

فى العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومخارج، وأربعة هوائية وهى: الواو والياء والألف اللينة والهمزة.

فأما الهمزة فسميت حرفاً هوائياً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مَدْرَجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، إنما هى هاوية فى الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف.

وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية. أى إنها فى الهواء"[1].

فالخليل عد الهمزة حرفاً غير صحيح وجمعها مع حروف العلة لأنها حروف هوائية ومخرج الهمزة الجوف.

أما سيبويه فيقول:

"وحروف العربية ستة عشر مخرجاً.

فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف ...."[2].

فسيبويه يرى أن الهمزة حرف من حروف الحلق وهو أقصاها مخرجاً من العين والحاء وأرى أن وصف سيبويه لمخارج الحروف أدق من وصف الخليل.

ثم يقول الخليل:

(١) كتاب العين للخليل جـ ١ ص ٦٤.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

"فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم الهاء ولولا هَتَّةٌ فى لهاء وقال مرة (ههة) لأشبهت الهاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف فى حيز واحد ثم العين والحاء فى حيز واحد كلهن حلقية"(١).

فالخليل يجعل العين أقصى الحروف تليها الحاء وهى قريبة من العين فى المخرج من أقصى الحلق ثم الهاء.

وقال الخليل أيضاً:

"ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء، فى حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء فى حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء فى حيز واحد، ثم الراء واللام والنون فى حيز واحد، ثم الفاء والباء والميم فى حيز واحد ثم الألف والواو والياء فى حيز واحد، والهمزة فى الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه"(٢).

ووضح الخليل ما سبق بقوله: "فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة ، والجيم والشين والضاد شجرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم أى مفرج الفم، والصاد والسين والزاء أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان وهى مستدق طرف اللسان.

والطاء والتاء والدال نِطْعِيَّة؛ لأن مبدأها من نِطْع الغار الأعلى، والظاء والذال والثاء لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة.

والراء واللام والنون ذلقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفى ذلق اللسان. والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة شفهية؛ لأن مبدأها من الشفة.

والياء والواو والألف والهمزة هوائية فى حيز واحد؛ لأنها لا يتعلق بها شئ، فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذى يبدأ به"(٣).

---

(١) كتاب العين للخليل جـ ١ ص ٦٥.

(٢) كتاب العين للخليل جـ ١ ص ٦٥.

(٣) كتاب العين للخيل جـ ١ ص ٦٥.

فجمع بين خمسة أحرف حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق وهى العين والحاء والهاء والغين والخاء وحرفان لهويان وهما: القاف والكاف لأن مخرجهما من اللهاة.

والشجرية وهى ثلاثة أحرف (الجيم، والشين، والضاد).

والأسلية وهى الصاد والسين والزاى، أما النطعية فهى الطاء والتاء والدال واللثوية (الظاء ، والذال، والتاء)

والذلقية وهى (الراء، واللام، والنون).

والشفهية (الفاء، والباء والميم) والهوائية وهى حروف العلة وهى الواو والياء والألف ومعها الهمزة مع قوله سابقاً إن الهمزة ليس لها حيز تنسب إليه.

أما سيبويه فيقول بعد أن تكلم عن الحروف الحلقية.

"ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف."[1]

فسيبويه يفرق بين مخرج القاف ومخرج الكاف.

ويقول أيضاً: "ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد"[2].

فسيبويه يفرق بين مخرج الجيم والشين وبين مخرج الضاد ولم يتبع الخليل فى تسميتها بالشجرية وجعله الثلاثة من مخرج واحد.

ثم قال: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُويق الثنايا مخرج النون"[3].

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

ويحدد مخرج الراء بقوله: "ومِنْ مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء"[1].

فسيبويه أدق فى تحديد مخارج الحروف من الخليل حيث يصف مخرج كل حرف على حدة.

ويضيف سيبويه قوله:

"ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخْرَج الطاء والدال والتاء.

ومما بين طرف اللسانَ وفُوَيْق الثنايا مُخْرج الزاى والسين والصاد.

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مُخْرَج الظاء والذال والثاء"[2].

فتكلم عن مخارج الحروف التى تبدأ بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وَفُوَيْقَها وأطرافها.

ثم تكلم عن الحروف الشفهية بقوله:

"ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا مخرج الفاء، ومما بين الشفتين مخـرج البـاء والميم والواو، ومن الخياشيم مُخْرج النون الخفيفة"[3].

فحدد مخرج الفاء وهو من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا.

ومما بَيْن الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

وكان الخليل يجمع بين الفاء والباء والميم فى المخرج، وكذلك الواو والياء والألف والهمـزة والصحيح وصف سيبويه لمخارج الحروف، وأضاف سيبويه النون الخفيفة التى تخرج من الخياشيم.

وقد تبع النحاة[4] سيبوية فى وصفه لمخارج الحروف.

قال أبو حيان:

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٤) ينظر سر صناعة الإعراب لابن جنى جـ١ ص ٤٦ - ٤٩، وشرح الشافية للرضـى جـ٣ ص ٢٥١ - ٢٥٤.

"المخرج السادس: وهو للجيم والشين والياء وهى من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك خلافاً للخليل فى الياء؛ إذ زعم أنها هوائية لا مخرج لها كالألف ويظهر أن الجيم قبلهما خلافاً للمهدوى فى زعمه أن الشين تلى الكاف والجيمُ والياءُ يليان الشين.

المخرج السابع: وهو للضاد وهى من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر أو الأيمن عند الأقل، وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين خلافاً لمن ذهب إلى أنها تختص بالجانب الأيمن.

وخلافاً للخليل فى زعمه أنها شجرية من مخرج الجيم والشين.

... المخرج العاشر: وهو للراء وهى من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا غير أنها أدخل فى ظهر اللسان قليلاً من النون. وتقدم مذهب الجرمى ومن وافقه وهو الظاهر من كلام الخليل.

... المخرج الخامس عشر: وهو للياء والميم والواو وثلاثتها مما بين الشفتين فتنطبقان فى الباء والميم لا فى الواو خلافاً للخيل فى الواو إذ هى عنده هوائية لا مخرج لها.

وخلافاً للمهدوى فيها إذا فصلها من الباء والميم وجعل لها مخرجاً على حدتها وهو عنده السادس عشر مخرجاً"[1].

يتضح متابعة النحاة لسيبويه من نص أبى حيان السابق وردهم لقول الخليل فى وصفه لمخارج بعض الحروف كالياء، والضاد، والواو.

(١) ارتشاف الضرب لأبى حيان جـ١ ص ٦ - ٧.

صفات الحروف

وبعد أن تكلم سيبويه عن مخارج الحروف تكلم عن صفاتها بقوله:

"فأما (المجهورة) فالهمزة، والألف والعين، والغين، والقاف، والجيم والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاى، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو فذلك تسعة عشر حرفاً.

وأما المهموسة: فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء فذلك عشرة أحرف"(١).

فعد من المجهورة تسعة عشر حرفاً والمهموسة عشرة أحرف.

وزاد الأمر وضوحاً بقوله:

"فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد فى موضعه، ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت. فهذه حال المجهورة فى الحلق والفم، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما فى الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة، والدليل على ذلك: أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما.

وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس. ولو أردت ذلك فى المجهورة لم تقدر عليه. فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها. وإن شئت أخفيت"(٢).

فوضع معنى الجهر ومعنى الهمس عند النطق بالحرف.

ومن صفات الحروف كذلك: الشديدة والرخوة.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٤.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٤.

قال سيبويه:

"ومن الحروف (الشديد) وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه هو: الهمزة، والقاف والكاف والجيم، والطاء والتاء، والدال، والباء، وذلك أنك لو قلت: أَلْحَجَ ثم مددت صوتك لم يجر ذلك.

ومنها (الرِّخوة) وهى : الهاء والحاء، والغين والخاء، والشين والصاد، والضاد والزاى والسين والظاء، والثاء، والذال، والفاء؛ وذلك إذا قلت: الطَّسُّ وانقَضْ وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت.

وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"(١).

فهو يوضح الشديد ويمثل له بلفظ يذكره، وكذلك الرخوة من الحروف وقرر أن العين بين الشديدة والرخوة.

وأضاف سيبويه:

"ومنها (المنحرف) ، وهو شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو (اللام) وإن شئت مددت فيها الصوت.

وليس كالرِّخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك"(٢).

فوضح أن اللام حرف منحرف ووصفه أيضاً بأنه حرف شديد يجرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ويفرق بينه وبين الحرف الشديدة بعد اعتراضه على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وكذلك ليس كالحروف الرِّخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه .

ثم تكلم عن النون بقوله:

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٥.

"ومنها (حرف شديد) يجرى معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنةٌ من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت، وهـــو (النـــون) وكذلك الميم"(١).

فالنون صوت يخرج من الأنف وفيه غنة ويستدل على ذلك بقوله (لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت) ويسوى بينها وبين الميم لقوله (وكذلك الميم).

ويضيف سيبويه:

"ومنها (المكرر) وهو حرف شديد، يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجَـــافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء"(٢).

فالراء حرف مكرر وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام

ويحدد الحروف اللينة بقوله:

"ومنها (اللينة) وهى الواو والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأىٌ، والواو، وأن شئت أجريت الصوت ومددت"(٣).

فعلل لوصف الواو والياء بالحروف اللينة بأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت.

وقال عن الألف:

"ومنها (الهاوى) وهو حرف اتسع لهواء الصوت مُخْرَجُه أشدَّ من اتساع مُخْـــرج اليـــاء، والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك فى الواو وترفع فى الياء لسانك قبل الحنك وهى الألف.

وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف ثم اليـــاء ثم الواو"(٤).

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٥.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٥.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٥.

(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

وهذا يؤكد دقة سيبويه فى وصفه لحروف العربية وتحديده لمخارجها، حيث وصـــف اليـــاء والواو بأنها حروف لينة، ووصف الألف بأنها حرف هاوٍ وهى أخفى الحروف، وأوسعها مخرجاً يليها الياء ثم الواو.

وحدد الحروف المطبقة بقوله:

"ومنها (المطبقة والمنفتحة): فأما المطبقة فالصاد والضاد، والطاء، والظاء.

والمنفتحة: كلُّ ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشى منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى"(١).

وعلل لتسميتها بالحروف المطبقة بقوله:

"وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك من مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف"(٢).

فإن اللسان ينطبق من مواضع هذه الأربعة وهى الصاد والضاد، والطاء، والظاء إلى ما حاذى الحنك الأعلى فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك.

وأضاف إلى ما سبق قوله: "وأما الدال والزاى ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك فى مواضعهن فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شئ من موضعها غيرها"(٣).

فأكد كلامه بأنه لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً .

وختم كلامه عن صفات هذه الحروف بقوله:

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٦.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٦.

(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٦.

"وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك"(١).

وتبع النحاة سيبويه فى وصفه للحروف:

فقال الزمخشرى: "وتنقسم إلى المجهورة والمهموسة والشديدة والرِّخوة، وما بين الشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة، وحروف القلقلة وحروف الصفير وحروف الذلاقة والمصمتة واللينة وإلى المنحرف والمكرر والهاوى والمهتوت"(٢).

فذكر صفات الحروف المختلفة دون تعيين.

وعرف المهموسة والمجهورة بقوله: "فالمجهورة ما عدا المجموعة فى قولك ستشحثك خصفه وهى المهموسة" فعرف المجهورة بأنها خلاف المهموسة وجمع المهموسة فى قوله (ستشحثك خصفه) .

وعرف الهمس والجهر بقوله:

"والجهر إشباع الاعتماد فى مخرج الحروف ومنع النفس أن يجرى معه، والهمس بخلافه والذى يتعرف به تباينهما أنك إذا كررت القاف فقلت: قَقق وجدت النفس محصوراً لا تحس معها بشئ منهن وتردد الكاف فتجد النفس مقاوداً لها ومساوقاً لصوتها"(٣).

فعرف الجهر ومثل له بالقاف حين النطق بها وتكرارها، وعرف الهمس بأنه خلاف الجهر ومثل له بالكاف وتكرارها.

وعرف الشديدة والرِّخوة بقوله:

"والشديدة ما فى قولك (أجدت طبقك) أو (أجدك قطبت) والرِّخوة ما عداها، وعدا ما فى قولك (لم يروعنا) أو (لم يرعونا) وهى التى بين الشديدة والرخوة.

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٦.

(٢) المفصل للزمخشرى بشرح ان يعيش جـ ١٠ ص ١٢٨.

(٣) المفصل للزمخشرى بشرح ابن يعيش جـ ١٠ ص ١٢٨.

والشدة أن ينحصر صوت الحرف فى مخرجه فلا يجرى، والرخاوة بخلافها ويتعرف تباينـــهما بأن تقف على الجيم والشين فتقول: الحج والطش، فإنك تجد صوت الجيم راكداً محصوراً لا تقـــدر على مده، وصوت الشين جارياً تمده إن شئت.

والكون بين الشدة والرخاوة أن لا يتم لصوته الانحصار، ولا الجرى كوقفك على العـــين، وإحساسك فى صوتها بشبه الانسلال من مخرجها إلى مخرج الحاء"[1].

فعرف الشديدة وجمع حروفها وكذلك الرخوة بأنها ما ليست بالشديدة ولا ما بين الرخـــوة والشديدة وهى التى جمع حروفها بقوله (لم يروعنا).

فتكون الرخوة هى الثاء والحاء والخاء والذال والزاى والسين والشين والـــصاد والـــضاد والظاء والغين والفاء والكاف والهاء.

واكتفى سيبويه بذكر العين من الحروف التى بين الشديدة والرِّخوة وأتم الزمخـــشرى جمـــع الحروف فى قوله (لم يروعنا).

وقال عن الحروف المطبقة والمنفتحة بقوله.

"والمطبقة الضاد والطاء والصاد والظاء والمنفتحة ما عداها، والإطباق أن تطبق على مخـــرج الحروف من اللسان ما حاذاه من الحنك والانفتاح بخلافة"[2].

فعرف المطبقة وهى الضاد والطاء والصاد والظاء وعرف الإطباق وما عداها فهى منتفحة.

---

(١) المفصل للزمخشرى بشرح ابن يعيش جـــ١٠ ص ١٢٨.

(٢) المفصل للزمخشرى بشرح ابن يعيش جـــ١٠ ص ١٢٨.

خاتمة البحث وبها أهم النتائج

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا وقائدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد

فهذه خاتمة البحث وأهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال دراستى فقد رأيت أننا أمام عالمين جليلين من علماء اللغة العربية.

١- فالخليل هو الأستاذ الورع التقى الزاهد العالم الذكى وكان الأقرب إلى سيبويه حيث لازمه وانتفع بعلمه، فلم يبخل الخليل على تلميذه النجيب الوفى بل كان يسعد بلقائه ويبذل له علمه بسخاء.

٢- أما سيبويه فكان أميناً صادقاً فيما يروى عن أساتذته، وينسبه إليهم، ولولا كتابه الجليل لما وصلنا علم الخليل.
كما كان قدوة ومثلاً أعلى للدارسين من بعده فى أمانته وصدقه، كما كان قمة فى الأدب الجم وسمو الخلق لتوقيره لأساتذته فكان يستحى أن يجاهر بمخالفته لأستاذه الخليل، فإذا رأى رأياً يخالف رأى أستاذه نجده ينسبه إلى غيره، ولا يصرح بنسبة الرأى إلى نفسه، بعد أن يحتج للرأى الأول ويعلق عليه بما يراه من القوة والحسن، أو يعبر عن إعجابه به أو إجازته.

٣- بدأ الخليل الكلام عن الثنائى من حروف المعانى وأوجز فى الكلام عن هذه الأمثلة اكتفاءً بما نقله عنه سيبويه؛ لأن الخليل كان يكتب مقدمة ومدخلا لأول معجم عربى. أما سيبويه فبدأ بالأحادى من حروف المعانى ومن الأفعال المحذوفة الفاء واللام من اللفيف المفروق، والأحادى من الأسماء المبنية كالضمائر المتصلة.

فنجد أن كتاب سيبويه كان منهجه أشمل وأكمل حيث كان يتدرج من الأدنى إلى الأعلى فهو يجمع أساليب اللغة حروفاً وأسماءً وأفعالاً مبنية ومعربة لذا وجدناه يفصل ويستوعب كلام العرب ويستشهد على قوله بشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الرصين.

٤- ثم تكلم الخليل عن الأفعال الثلاثية ومثل لها بأفعال صحيحة، ثم مثل للأسماء الثلاثية ببعض الأسماء الصحيحة كذلك.

أما سيبويه فبدأ بالأسماء الثلاثية وقرر أنها أكثر الكلام ومثل ببعض الأسماء المبنية نحو (على) و (إلى) موضحاً معانيها ومن الأسماء المعربة (غير وسوى) وغيرها من الأدوات والحروف كأدوات النفى والاستفهام والعرض والتحضيض.

٥- وعلل الخليل لمجئ الأسماء على ثلاثة أحرف وتبعه سيبويه فى تعليله. وأضاف سيبويه أن الأسماء المبنية (الضمائر) تكون على حرف واحد وعلل لذلك بأنها لا تتصرف، كما تلحق بغيرها من الأفعال وهذه الإضافة يتبين منها أن سيبويه يفرق بين الاسم المظهر المعرب، والضمير المتصل المبنى.

٦- كان كتاب سيبويه سبباً فى اختلاف النحاة حيث كان يذكر أكثر من رأى ففى أول الكتاب وجدناه يذكر أن (على) حرف خفض وذلك عند تفسيره لبيت المتلمّس [أليت حب العراق الدهر أطعمه] ولكنه عاد وأكد أن (على) اسم ظرف واستدل على اسميتها بدخول حرف الخفض عليها وهو الراجح.

وقد دار النحاة جميعاً فى فكله فمنهم من اعتقد حرفيتها تأثراً بقول سيبويه. ومنهم من أكد اسميتها تبعا لسيبويه كذلك.

٧- ومثل الخليل للأفعال الرباعية المجردة بأفعال صحيحة.

أما سيبويه فمثل بفعل سالم وآخر من المضعف الرباعى ووضح مصادرها.

٨- ومثل الخليل بأفعال رباعية مزيدة بألف الوصل فى أولها ومضاعفة اللام فى آخرها نحو (اسحنكك) و(اقشعرّ).

أما سيبويه فمثل بأفعال وضح حقيقتها من حيث التعدى واللزوم وبين أوزانها لمعرفة الزائد منها ومعانى هذه الأفعال المزيدة.

٩- مما سبق يتبين لنا أن سيبويه يعد أول من دون علم الصرف كما كان الرائد فى علم النحو وكان منهجه منهجاً مستقيماً لشموله، ودقة تقسيمه وبراعة تمثيله مما يجعلنا نؤكد بما لا مجال للشك فيه أن كتاب سيبويه لا تقل أهميته فى علم الصرف عنها فى علم النحو.

وأن كتابه يعد هو المرجع الأهم والأول فى علم العربية لما احتواه من لغة العرب ولهجاتهم بالإضافة إلى أدبهم وبلاغتهم فى التعبير عن المعانى المختلفة.

١٠- وعند الموازنة بين الخليل وسيبويه فى الكلام عن حروف الهجاء وعددها ومخارج هذه الحروف وصفاتها نجد أن سيبويه كان أدق وصفاً من الخليل فى تحديده لمخارج الحروف لذا نجد النحاة من بعده قد تابعوه فى وصفه لدقته وعمقه. ومنهم ابن جنى وابن عصفور والرضى وأبو حيان.

وفى الختام الله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون لبنة صالحة فى صرح اللغة العربية المتين وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ويجعلنا سبحانه ممن فضلهم بالعلم على سائر عباده فهو سبحانه نعم الموفق وهو على كل شئ قدير.

الفهارس الفنية

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

	الصفحة
١- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾(١).	
٢- ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾(٢).	
٣- ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٣).	
٤- ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾(٤)	
٥- ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾(٥)	

ثانياً: فهرس الأحاديث

	الصفحة
١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من أصحابى أحدٌ إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء".	

ثالثاً: فهرس الأبيات الشعرية

			صفحة
ليت شعرى وأين منى ليت		إن ليتا وإن لوّا عناء	
بل من يرى البرق بت أرقبه		يُزجى حبيًا إذا خبا ثقبا	
بل هل أريك حمول الحى غادية		كالنخل زيّنها يَنْعٌ وإفضاح	
قد أترك القرنَ مُصفرا أنامله		كأن أثوابه مُجّت بفرصاد	
ورج الفتى للخير ما إن رأيته		على السن خيراً لا يزال يزيدَ	
فلما أتى عامان بعد انفصاله		عن الضرع واحلولى دماثا يَرُوذُهَا	

(١) سورة النساء آية (١٥٥) والمائدة آية (١٣).

(٢) سورة السبأ آية (٣١). (٣) سورة الحديد آية (٢٩).

(٤) سورة القصص آية (٣٢). (٥) سورة مريم آية (٢٥).

ذهب النحو جميعا كله		غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع		فهما للناس شمس وقمر
صف خلق جود مثل الشمس إذ بزغت		يخطى الضجيع بها نجلاء معطار
ما زلت أفتح أبوابها وأغلقها		حتى أتيت أبا عمرو بن عمار
يستوعب البَوْعَيْنِ من جريره		من لَدُ لحييه إلى منحوره
أليتَ حبُّ العراقَ الدهر أطعمه		والحب يأكله في القرية السوس
أرمى عليها وهى فَرْعٌ أجمع		وهى ثلاث أذرع وإصبع
هجوت زبَّانَ ثم جئت معتذراً		من هجو زبان لم تهجو ولم تدع
فأبان ما تعدل به الريح تنزل		
أبلغ سليمان أنى عنه فى دَعَة		وفى غِنى غير أنى لست ذا مال
سخى بنفسى أنى لا أرى أحداً		يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قَدَرٍ لا الضعف ينقصه		ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر فى النفس لا فى المال تعرفه		ومثل ذاك الغنى فى النفس والمال
وإذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تجد		ذخراً يكون كصالح الأعمال
ألا يا اسْقِيانى قبل غارة سِنْجَالِ		وقَبْلَ منايا قد حَضَرْنَ وآجالِ
مكر مفر مقبل مدبر معاً		كجلمود صخر حطه السيل من عَلَ
إنى انصببت من السماء عليكم		حتى اختطفتك يا فرزدق من عَلَ
يا ربَّ يومٍ لى لا أظَلَّلُهْ		أرْمَضُ من تحتُ وأضحى منْ عَلُهْ
يؤمل دنيا لتبقى له		فمات المؤمل قبلَ الأمل
حثيثا يروى أصول الفسيل		فعاش الفسيل ومات الرجل
وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت		منها التعجب جاء من سليمان
لا تعجبن لخير زل عن يده		فالكوكب النحس يسقى الأرض أحياناً
وما إن طبنا جبن ولكن		منايانا ودولة آخرينا
إن الذى شق فمى ضامن		لى الرزق حتى يتوفانى
حرمتنى خيرا كثيرا مما		زادك فى مالك حرمانى

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أثر كتاب سيبويه فى كتاب التصريف للمازنى - رسالة دكتوراه د/ هدى محمد متولى السداوى.
٣- أخبار النحويين البصريين لأبى سعيد السيرافى.
٤- ارتشاف الضرب لأبى حيان تحقيق وتعليق د/مصطفى أحمد النحاس- مطبعة النسر الذهبى.
٥- استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين للزبيدى.
٦- إعراب الفعل المضارع فى ضوء منهج السالك للأشمونى تأليف أ.د. إبراهيم حسن إبراهيم حسن.
٧- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى - طبعة دار الفكر.
٨- إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطى تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار الفكر العربى/ الطبعة الأولى.
٩- بغية الوعاه للسيوطى تحقيق: د/ محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا - لبنان - الطبعة الأولى.
١٠- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى بحاشية يس بن زيد الدين العليمى الحمصى - مطبعة عيسى البابى الحلبى.
١١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى - الطبعة الثانية - بيروت.
١٢- الجنى الدانى للمرادى تحقيق: د/ فخر الدين قباوة، الأستاذ/ محمد نديم فاضل - دار الأفاق الجديدة - بيروت.
١٣- خزانة الأدب للبغدادى دار صادر - بيروت.
١٤- الخصائص لابن جنى - تحقيق د/ محمد على النجار الطبعة الثانية.
١٥- ديوان الأخطل تحقيق مهدى محمد ناصر الدين - توزيع دار الباز بمكة المكرمة.

١٦- سر صناعة الإعراب لابن جنى دراسة وتحقيق د/ حسن هنداوى - دار القلم دمشق.
١٧- سيبويه إمام النحاة للأستاذ على النجدى.
١٨- سيبويه حياته وكتابه للأستاذ أحمد أحمد بدوى - الطبعة الثانية.
١٩- الشافية لابن الحاجب بشرح الرضى/ تحقيق: محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٠- شرح شذور الذهب لابن هشام تعليق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - لبنان.
٢١- شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوى المختون - هجر للطباعة والنشر.
٢٢- شرح الشافية للرضى - تحقيق: محمد نور الحسن - محمد الزفزاف - محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت.
٢٣- شرح المفصل لابن يعيش - طبعة عالم الكتب - بيروت.
٢٤- طبقات النحويين للزبيدى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف.
٢٥- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدنى.
٢٦- عن فى اللغة العربية والقرآن الكريم إعداد د/ هدى محمد متولى إبراهيم السداوى.
٢٧- الفهرست لابن النديم - دار المعرفة - بيروت.
٢٨- الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون - عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
٢٩- كتاب العين للخليل بن أحمد الجزء الأول تحقيق د / عبد الله درويش.
٣٠- لسان العرب لابن منظور - طبعة دار المعارف.

٣١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان لأبى محمد عبد الله بن أسعد - مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت.
٣٢- مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر.
٣٣- المزهر للسيوطى شرح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر.
٣٤- المغنى لابن هشام تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة محمد على صبيح بالأزهر.
٣٥- المقتضب للمبرد تحقيق د/ عبد الخالق عضيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٣٦- المقرب لابن عصفور تحقيق/ أحمد عبد الستار الجوارى - مطبعة العالى بغداد - الطبعة الثالثة.
٣٧- الممتع لابن عصفور - تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة.
٣٨- من أعلام البصرة سيبويه للدكتور جعفر أبو جناح.
٣٩- منهج السالك للأشمونى بحاشية الصبان - مطبعة عيسى البابى الحلبى.
٤٠- النبأ العظيم للأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله دراز.
٤١- نشأة النحو للطنطاوى.
٤٢- همع الهوامع للسيوطى - نشر مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧هـ.
٤٣- وفيات الأعيان لبان خلكان - تحقيق د/ إحسان عباس- دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	رقم الصفحة
١ – المقدمة ٢ – نبذة عن حياة العالمين الجليلين ١ – الخليل بن أحمد الفراهيدى ٢ – سيبويه إمام النحاة ٣ – موازنة بين الخليل وسيبويه من خلال العَيْن للخليل والكِتاب لسيبويه. ١ – عدة ما يكون عليه الكلم ٢ – الأسماء الأحادية والضمائر المتصلة. ٣ – الثنائى من حروف المعانى وغيرها من الأسماء والأفعال. ٤ – الأسماء المبنية الثنائية ٥ – الثلاثى من الأفعال والأسماء. ٦ – تعليل الخليل وسيبويه لمجئ الأسماء على ثلاثة أحرف. ٧ – المزيد من الأسماء ٨ – الأفعال الرباعية المجردة ٩ – المزيد من الأفعال الرباعية ١٠ – مخارج الحروف وصفاتها ١١ – عدد الحروف العربية ١٢ – صفات الحروف ٤ – خاتمة البحث ٥ – الفهارس الفنية	